

6 me Année, No. 285

Lundi - 19 - 12 1938

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٢٨٥ «القاهرة فى يوم الأثنين ٢٧ شوال سنة ١٣٥٧ — ١٩ ديسمبر سنة ١٩٣٨» السنة السادسة

الفهـــــرس

من مآسى الحياة

يا إنسان ! أين الاحسان ؟

ما أطول أحاديث البؤس وأكثر حوادثَ أهله !

كان للمقالين اللذين كتبناهما فى غفوة الاحسان عن مرتجيه، وقسوة الوقف على مستحقيه، رجعٌ شديد فى أكثر النفوس. فقد غدا علينا البريد بعشرات من الرسائل الباكية كأنما كتبت بدموع العيون ودماء القلوب فلا تدرى أهى كلمات أم أنات ! ولو شئت أن أنقل إليك بعض ما فيها لدهشت أن يكون فى مصر — وهى البلد الذى يجرى نيله بماء الحياة، ويفيض ثراه بطيبات الرزق — خَلْق من بنى آدم يدمنون الصيام من الجوع، ويلبسون الظلام من العُرْى، وتصبح أمانيُّهم على الله أن ينقذهم من الحياة بالموت !!

هاك حالة واحدة من ألوف : روى الشيخ عبد الغنى فى رسالته الضافية ما ألخصه لك فى هذه الأسطر :

طرابيشى فى حى (السيدة زينب) كان يعيش من فضل الله وربح الحرفة فى نعمة سابغة. كان رحْب الدكان والصدر، يجلس عنده سراة الحى فيتحادثون ويتنادرون ويفضى بعضهم إلى بعض بأسرار

البيوت وأخبار الصحف ، والمكاوى لا تنقطع عن الكي ، والعمال لا يفتُرون عن البيع . وكان رخى البيت والأسرة ، يغشى فناءه السهلَ ذوو القربى وأولو الحاجة ، يتقلبون فى أعطافه ، وينالون من ألطافه ، ويستريحون إلى ظله . فلما تعود الناس قلة النفقات من كثرة الأزمات ، ووفدت على مصر من وراء البحر بدعة العُرى ، فتعرّت أرجل النساء من الجوارب ، ورؤوسُ الرجال من الطرابيش ، أخذت نار الطرابيشى تنطفئ وحركته تسكن ومورده يغيض ، وأخذ الغرماء مجالس العملاء ، وزاد عدد المحضرين على عدد المشترين ؛ فكان الرجل يفتح دكانه يوماً ويغلقه أسبوعاً ، حتى فدحه الدَّين وأعيته الحيلة فباع الملك ، وركبه الهم والمرض فلزم البيت ، وتفجّرت عليه المصائب من كل جانب ، فمات ولده الوحيد وكان فى السنة الثالثة من كلية الطب ، وتوفى أخوه البارُّ وكان موظفاً فى إدارة القرعة ، وتأيمت أخته الفقيرة الولود فلاذت بجاه ، ووجد الداء فى جسمه الواهن المنحلّ مجالاً فاستشرى ، ورأف الله به أن يعانى الألم فى نفسه وفى أهله طويلا فتوفاه . وبقيت بعده زوجته المقطوعة ، وأخته الأرملة ، وابنتاه العانستان ، يعشن على خمسين قرشاً فى الشهر ! أتدرى من أين تأتيهن هذه الخمسون قرشاً ؟ تأتى من أجرة الدكان . فقد استأجر الصانعُ الذى كان يعمل فيه آلاته وأدواته وأثاثه بمائة قرش ، فكن يعطين وزارة الأوقاف منها ثمانين كراء المحل ، حتى سعى لهن أهل الخير لديها فجعلته خمسين .

ويتساءل الناس بعد ذلك كيف يعيش هؤلاء النساء الأربع على هذا النزر اليسير من الرزق فلا يستطيع أحد أن يجيب ، لأنهن أغلقن على أنفسهن وعلى بؤسهن غرفة من غرف الغسيل فى بيت متهدم من بيوت (زين العابدين) فلا يدخل عليهن إلا جارة برغيف ، أو خادمة بصحن ... !

فليت شعرى أتقنع الفتاتان كما قنعت المرأتان بهذا العيش ، أم تحملان آخر الأمر على ركوب الغواية والطيش ؟

ذلك سؤال كان ينبغى أن يوجه إلى وزارة الأوقاف وأغنياء الأمة ؛ ولكن وزارة الأوقاف ليست بيت المال الذى كان يقوم عليه عمر ، والأغنياء فى مصر كلما أفعم الله جيوبهم بالمال ، أفرغ جنوبهم من الرحمة . فأموالهم للأحزاب والانتخاب ، وعواطفهم للخيل والكلاب ، ودنياهم للغرور والأبهة . فلم يبق لطرائد الشقاء وفرائس الفاقة غير الله . ولله فى أموال هؤلاء القساة حق معلوم هو الزكاة . والزكاة ركن من أركان الإسلام كالشهادتين والصلاة . والاسلام يعيد اليوم فى عهد الفاروق زمانه وسلطانه ، فالأمراء والوزراء يصلون ، والمترفون والمثقفون يحجون ، والدين والمدنية يتعاونان على تنزيه النفس وترفيه العيش وتأمين الحياة . فلماذا يظل هذا الركن مهدوماً وهو وحده العماد القوى لبناء الأمة ، والطِّباب الناجع لأدواء المجتمع ؟ لقد فرضت الحكومة على الأموال الثابتة والمنقولة ضرائب العمارة والدفاع والأمن ، وجبتها على الطوع والكره ؛ فما بالها وهى الحكومة الاسلامية القوية لا تجمع بوسائلها الادارية ما جعل الله للفقراء ، فى أموال الأغنياء ، ثم تقسمها على من سماهم الله فى كتابه ، فتأمن بذلك ثورة النفوس واضطراب الأمن وسخط العدالة ؟

إنها إن تفعل ذلك تُرض نفوس العامة . وفى رضا هؤلاء تكثير النسل وتوفير الإنتاج وتيسير المعيشة . ولن تجد فى جباية الزكاة ما تجد فى جباية الخراج من امتعاض أو اعتراض أو مشقة ، فان البذل فى سبيل الله ربا المؤمن . ومليونا جنيه من الصدقات يدخلان بيت المال فى كل سنة مع الأمانة والعدل ، لا يتركان فى الأمة سائلاً فى شارع ، ولا جائعاً فى بيت ، ولا جاهلاً فى عمل . وكلما استبحر العمران ، واستذأب الناس ، واستشرت المطامع ، تبين أقطاب الرأى وأصحاب الأمر أن الله الذى جعل الفساد فى الدنيا ، جعل الصلاح فى الدين ؛ فما من علة فى الفرد ، ولا آفة فى الجماعة ، إلا نبّه إليها بنوره ، وطبَّ لها فى شرعه ، وخفف منها بلطفه

فهل تفكر حكومة الفاروق خليفة الله على وحيه ، فى إقامة الدين على وجهه ، فتهدأ ضلوع ، وتجف دموع ، ويتذوق الناس فى ظلال الإخاء ، سعادة الأرض ونعيم السماء ؟

أحمد حسن الزيات

مصر والعـــروبة

الى الدكتور طه حسين

من الأستاذ ساطع الحصري بك

أيها الأستاذ :

نشرت مجلة المكشوف البيروتية حديثاً جرى بينكم وبين جماعة من شبان العرب ، على ظهر باخرة تمخر عباب البحر الأبيض المتوسط ، قلتم فى خلال ذلك الحديث إنكم تنادون « بتوحيد برامج التعليم فى جميع الأقطار العربية وتسهيل التبادل الثقافى بينها » ، وترون « من المفيد أن يكون تعاوناً اقتصادياً ، وحتى تحالفاً عسكرياً » بين تلك الأقطار ؛ غير أنكم لا ترضون وحدة سياسية ، سواء أكانت « بشكل امبراطورية جامعة » أم على طراز « اتحاد مشابه للاتحاد الأمريكى أو السويسرى » . وعللتم آراءكم هذه بقولكم « إن الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين ؛ وإنها ستبقى كذلك ، بل يجب أن تبقى وتقوى »

قرأت هذه الآراء بدهشة غريبة ، لأننى استبعدت صدورها منكم كل الاستبعاد ، وقلت فى نفسى : « لعل الكاتب نقلها على غير حقيقتها » ، وأعدت قراءتها بإمعان ، ولكنى لحت فى عدة نقاط منها أسلوبكم المعروف ، فقلت لعل الدكتور أراد أن يمتحن هؤلاء الشبان ، ويتأكد من مبلغ إيمانهم بالقضية ، ويسبر غور درسهم لوجوهها المختلفة : فالآراء التى أدلى بها ربما كانت من نوع الآراء الجدلية التى ترمى إلى حمل المخاطب على التعمق فى التفكير . فوجدت نفسي تجاه هذه الملاحظات بين عاملين مختلفين : عامل يدفعنى إلى الاسراع فى مناقشة هذه الآراء لكى لا أترك مجالا لزعزعة إيمان بعض الشبان بتأثير سلطتكم الأدبية السامية ، وأسلوبكم الأخاذ . . . وعامل يدفعنى إلى التريث فى الأمر لكى أتأكد من صحة الحديث المعزو إليكم . تريثت لذلك مدة من الزمن . . ولما لم أطلع على تصحيح أو توضيح صدر منكم ، رأيت من الواجب على أن أقدم على المناقشة بدون أن أنتظر مدة أطول . . .

فاذا كان فى الحديث الذى نسب إليكم شيء من البعد عن الواقع ، فأرجو أن تعتبروا كلمتى هذه بمثابة رد على الآراء المسرودة فى ذلك الحديث ، بقطع النظر عن قائلها ؛ وإذا كان فيه شيء من قصد المناقشة الجدلية — كما أسلفت — فأرجو أن تعتبروا هذه الأسطر بمثابة صفحة من صفحات تلك المناقشة الجدلية . . .

* * *

قلتم للشبان الذين تحدثتم إليهم : « إن المصرى مصرى قبل كل شيء ، فهو لن يتنازل عن مصريته مهما تقلبت الظروف . . . »

فاسمحوا لى أن أسألكم : هل الوحدة العربية تتطلب من المصريين التنازل عن المصرية ؟ أنا لا أتردد فى الاجابة على هذا السؤال بالنفى ، لأنى أعتقد بأن دعوة المصريين إلى الاتحاد مع سائر الأقطار العربية لا تتضمن بوجه من الوجوه حثهم على التنازل عن « المصرية » . إن دعاة الوحدة العربية لم يطلبوا ولن يطلبوا من المصريين — لا ضمناً ولا صراحةً — أن يتنازلوا عن مصريتهم، بل إنهم يطلبون إليهم أن يضيفوا إلى شعورهم المصرى الخاص شعوراً عربياً عاماً ، وأن يعملوا للعروبة بجانب ما يعملونه للمصرية . . فهل لديكم ما يبرهن على أن ذلك من نوع « طلب المحال » ؟ وهل لديكم ما يدل على أن العروبة والمصرية ضدان لا يجتمعان ، وعنصران لا يمتزجان ؟

وقد قلتم لمخاطبكم : «ولا تصدق ما يقوله بعض المصريين من أنهم يعملون للعروبة . . . فالفرعونية متأصلة فى نفوسهم » ثم أضفتم إلى ذلك حكما قاطعاً ، فقلتم : « وستبقى كذلك . . . »

فهل تسمحون لى أن أستوضحكم ما تقصدونه من كلمة « الفرعونية » ؟ هل تقصدون منها الأخذ بحضارة الفراعنة ، أم الاعتزاز بثقافة الفراعنة ؟ أم تقصدون منها بعث اللغة الفرعونية أو الآداب الفرعونية ، أو الديانة الفرعونية ، أو السياسة الفرعونية ؟

أنا لا أستطيع أن أشك فى أنكم لم تقصدوا منها الحضارة أبداً : لأنكم لستم — بدون ريب — ممن يقبلون لمصر ولغير مصر — حضارة فى هذا العصر غير الحضارة العلمية الحالية . . . كما لا أستطيع أن أشك فى أنكم لم تقصدوا من هذه الكلمة « الديانة الفرعونية » أيضاً . . .

هذا ومن جهة أخرى فاننى أجد فى مناداتكم « بتوحيد برامج التعليم فى جميع الأقطار العربية وتسهيل التبادل الثقافى

بينها » دليلا قاطعاً على أنكم لم تقصدوا منها الثقافة الفرعونية أو اللغة الفرعونية أيضاً

فماذا تقصدون منها إذن ؟ السياسة ؟ فهل تعتقدون بأن « السياسة الفرعونية » تتطلب « الاكتفاء بحدود مصر الحالية » فترفض « التوسع » بكل أنواعه ، حتى ولو كان عن طريق « قبول انضمام » الأقطار العربية ؟

إنكم أشرتم فى حديثكم إلى الآثار الباقية من عهد الفراعنة بشكل يستوقف الأنظار ، وأردتم أن تدعموا آراءكم بجلال تلك الآثار إذ قلتم :

« لا تطلبوا من مصر أن تتخلى عن مصريتها ، وإلا كان معنى طلبكم : إهدمى يا مصر أبا الهول والأهرام ، وتغاضى عن جميع الآثار التى تزين متاحفك ومتاحف العالم ، وانسى نفسك واتبعينا ... »

يظهر من هذه التأويلات أنكم تودون أن تخلقوا للفكرة العربية خصوماً من الآثار القديمة ، وأن تضعوا فى سبيل تيار هذه الفكرة سدوداً من الرموس والأطلال . فهل فاتكم أن التعارض والتصادم لا يحدثان إلا بين الأشياء التى تسير على مستوى واحد ، فى عالم واحد ؟ وأن الفكرة العربية التى تعمل فى القرن العشرين — للأجيال القادمة — لا يمكن أن تتعارض مع آثار بقيت ميراثاً من ماض سحيق ، يرجع إلى أكثر من خمسة آلاف من السنين ؟

إن مصر قد تباعدت عن ديانة الفراعنة دون أن تهدم أبا الهول ؛ وتخلت عن لغتها القديمة دون أن تقوض الأهرام ؛ وجميع آثار الفراعنة التى زينت بها متاحف مصر ومتاحف العالم لم تولد نزوعاً للعودة إلى الديانة التى أوجدت تلك المآثر الخالدة ، ولا حركة ترمى إلى بعث اللغة التى رافقتها خلال قرون طويلة ، فهل من موجب لطلب هدم الأهرام وتناسى الآثار لأجل الوحدة العربية ؟

إن الأهرام — مع جميع الآثار الفرعونية — لم تمنع مصر من الاتحاد مع سائر الأقطار العربية اتحاداً تاماً — فى ميدان اللغة — فهل يمكن أن تحول دون اتحادها مع تلك الأقطار فى ميدان السياسة أيضاً ؟

كلا أيها الأستاذ . إن التيارات القوية العميقة التى جرفت حياة مصر إلى اتجاهات جديدة منذ عشرات القرون ، والتى أخرجتها من ديانتها القديمة وأنستها لغتها الأصلية — بالرغم من وجود الأهرام وقيام أبى الهول — سوف لا تحتاج إلى هدم شىء من آثارها القديمة ، لتجرفها نحو السياسة التى يؤمن بها دعاة الوحدة العربية ، ولا سيما أن هذه السياسة ليست إلا نتيجة طبيعية للغة مصر الحالية ووضعها العام

إن دعاة الوحدة العربية لم يقولوا ولن يقولوا لمصر : « انسى نفسك » بل يقولون وسيقولون لها : « استزيدى من ثروة نفسك » بالعمل على توحيد أبناء لغتك . « انهم لم يقولوا ولن يقولوا لها : « اتبعينا » ، بل يقولون وسيقولون لها : سيري إلى الأمام ، ونحن نتبعك على الدوام

***

سألتم خلال الحديث : « أتريدون أن تتحقق الوحدة العربية ؟ فعلى أى أساس علمى تنادون بها ؟ » ثم قلتم : « تعالوا معى نستعرض الروابط التى تصل مصر بالأقطار العربية الأخرى » فاسمحوا لى أن أشترك معكم فى الاستعراض ، لأناقشكم فى أهم المواقف التى وقفتموها خلاله :

لقد وقفتم أولا أمام قضية « الأصل والدم » وقلتم : « إن الأكثرية الساحقة من المصريين لا تمت بصلة إلى الدم العربى ، بل تتصل مباشرة بالمصريين القدماء »

وأنا لا أود أن أتطرق — فى هذا المقام — إلى مسألة أصل المصريين القدماء ، ولا أن أبحث عن علاقتهم أو عدم علاقتهم بالساميين عامة وبالعرب خاصة ... سأسلم — جدلا — بما تقولونه فى هذا الباب ، مع هذا سأسألكم بدوري : هل علمتم بوجود أمة على الأرض انحدرت من أصل واحد تماماً ؟ وهل تستطيعون أن تذكروا لى أمة واحدة ترتبط بروابط الدم فعلا وحقيقة ؟

إن جميع الأبحاث العلمية تدل على عكس ذلك تماماً . إنها تدل على أنه لا توجد على وجه البسيطة أمة خالصة الدم ... حتى الأمة الفرنسية التى سبقت جميع الأمم الأوربية فى طريق الوحدة والاستقرار ، لا تدعى وحدة الأصل والدم . وعلماؤها يعترفون بأن الأجناس التى دخلت فى تركيبها تعد بالعشرات ، كما يعترفون مثلا بأن أهالى جنوب فرنسا يختلفون عن سكان شمالها — من حيث الأصل والدم — اختلافاً كبيراً . أيمكنكم أن تدعو — والحالة هذه — أن عدم وحدة الأصل والدم ، يجب أن

يحول دون انضمام مصر إلى حركة الوحدة العربية ؟

ثم وقفتم أمام مسألة التاريخ ، وادعيتم أن « تاريخ مصر مستقل تمام الاستقلال عن تاريخ أي بلد آخر »

فاسمحوا لي أن أقول بأن هذا الادعاء افتئات صارخ على الحقائق الواقعة ... فان تاريخ مصر اختلط اختلاطاً عميقاً بتاريخ سائر البلاد العربية وتشابكت أوشاجه معها، خلال القرون الثلاث عشرة الأخيرة على الأقل... فكيف يحق لكم أن تحذفوا هذه القرون من تاريخ مصر ؟ ... أنا لا أنكر أن تاريخ مصر لم يبق متصلاً بتاريخ سائر الأقطار العربية على الدوام ، غير أنني أدعي أن ذلك شأن تواريخ الأمم الأخرى بدون استثناء . فان تواريخ الأمم تشبه الأنهر الكبيرة التي تتكون من روافد عديدة بوجه عام

إن من يلقي نظرة عامة على تواريخ الأمم المعاصرة لنا كأن يستعرض تفاصيل تاريخ الأمة الفرنسية التي سبقت جميع الأمم في طريق الوحدة القومية — كما ذكرت آنفاً — يضطر إلى التسليم بأن العلاقات التاريخية التي تربط مصر بسائر الأقطار العربية، أقوى وأعمق وأطول من العلاقات التاريخية التي تربط الأقاليم الفرنسية بعضها ببعض ...

وإذا أظهرتم شيئاً من الريب في هذا الباب فانني مستعد لذكر التفاصيل والأسانيد التي تبرهن على صحة دعواي برهنة قطعية

***

والآن أنتقل معكم إلى آخر المواقف التي وقفتموها خلال استعراض الصلات . . . لقد أنكرتم « تأثير اللغة » في تكوين « الوحدة العربية » وقلتم : « لا تنخدعوا ، لو كان للغة وزن في تقرير مصير الأمم لما كانت بلجيكا وسويسرا ، ولا أمريكا ولا البرازيل ولا البرتغال . . »

فاسمحوا لي أن أناقشكم في هذا الموضوع المهم مناقشة طويلة :

لو كنتم أقدمتم أيها الأستاذ على كتابة بحث مثل هذا البحث للبرهنة على نظرية مثل هذه النظرية — قبل ربع قرن — لاستطعتم أن تضيفوا إلى هذه الأمثلة مثالين آخرين . . لقلتم عندئذ : « لا تنخدعوا ، لو كان للغة وزن في تقرير مصير الأمم لما كانت الأمبراطورية النمسوية ، ولا السلطنة العثمانية ... »

ولو كنتم ممن عاشوا وكتبوا قبل ذلك بنصف قرن ... لاستطعتم أن تضيفوا إلى أمثلتكم عشرات الأمثلة الأخرى ،

ولأرخيتم العنان لقلمكم الجواب لينتقل من جنوب إيطاليا إلى شمال ألمانيا . . ولقلتم : « لو كان للغة وزن في تقرير مصير الأمم ... لما كانت ساردونيا وساكسونيا ، ولا بيه ده مونته وبادرا ... »

غير أن تقلبات الزمان ، أزالت من عالم الوجود جميع تلك الأمثلة والشواهد الكثيرة ، وحرمت النظرية التي تقولون بها إمكان الاستناد إليها، فحصرت الأمثلة في الأسماء التي ذكرتموها ..

أفلا ترون أيها الأستاذ أن هذه الملاحظة وحدها كافية للبرهنة على أن مثل هذه البراهين لا تخلو من مزالق كثيرة، فلا يجوز الاعتماد عليها في حل القضايا الاجتماعية ؟ .

أفتلومونني إذا قلت إن هذه المحاكمة لا تخلو من الشبه بمحاكمة من يقول : « لو كان لجاذبية الأرض وزن في تقرير مواضع الأجسام لما بقيت القناديل معلقة في السقوف ، ولما صعدت الأدخنة إلى السماء ، ولما طارت الطيور وارتفعت المناطيد . »

اسمحوا لي أن أستعرض الظروف الخاصة التي تلازم كل واحد من الأمثلة التي ذكرتموها ، لكي أبرهن على صحة تشبيهي هذا .

إن أول الأمثلة التي ذكرتموها للتدليل على عدم « وزن اللغة في تقرير مصير الأمم » هو وجود بلجيكا . وهل فاتكم أن بلجيكا ليست متجانسة من حيث اللغة ، بل هي من المناطق التي تتلاقى وتتشابك فيها اللغات ؟ ولا شك في أنكم تعلمون أن النصف من سكانها يتكلم الفرنسية، في حين أن النصف الآخر منها يتكلم الفلامندية ... فاتحاد كل فريق من هؤلاء مع سائر أبناء لغتهم يتوقف على « تجزئة وتقسيم بلجيكا » في حين أن ذلك يصطدم بمشاكل عظيمة وموانع جسيمة من الوجهة الجغرافية والاقتصادية والسياسية . »

أولا — إن حدود الألسن في بلجيكا لا تخلو من تشابك وتعقيد ؛ فعاصمتها بروكسل — مثلا — تقع في منطقة فلامندية مع أنها من أهم المراكز الفرنسية ، يتكلم سكانها اللغة الفرنسية في حين أن سكان القرى والقصبات المحيطة بها يتكلمون الفلامندية ؛ ولا شك في أن هذا التشابك يجعل أمر تجزئة هذه المملكة من المشاكل العويصة من الوجهة المادية والجغرافية .

ثانياً — إن حدود المناطق اللغوية في بلجيكا لا تتفق مع حدود المناطق الاقتصادية ، مما يجعل أمر التقسيم عسيراً جداً من الوجهة الاقتصادية أيضاً ...

ثالثاً — تشغل بلجيكا موقعاً هاماً بين ثلاث من أعظم الدول الأوربية وهى ألمانيا وفرنسا وانكلترا ، ولا حاجة لايضاح أن تعارض منافع هذه الدول المنظمة الثلاث « جعل أمر » إبقاء المملكة البلجيكية على حالها وعلى حيادها « من لوازم التوازن الدولى أمام ، ومن مستلزمات « السياسة العالية الهامة ، فكيف يجوز لكم أن تعتبروا « وجود بلجيكا » دليلا على عدم « وزن اللغة » فى تقرير مصير الأمم ؟ ألم أكن محقاً فيما قلت : — إن ذلك يشبه اعتبار توازن بعض الأجسام دليلا على عدم تأثير الجاذبية الأرضية عليها ؟ . . .

هذا ، ومن جهة أخرى أود أن أسألكم : هل من وجه لتشبيه قضية « بلجيكا والأمم المجاورة لها » بقضية مصر والبلاد العربية المتصلة بها ؟ وهل من مجال لاعتبار مصر أو الأقطار العربية المتصلة بها من مناطق تشابك اللغات وتعقدها ؟ وهل يتوقف اتحاد مصر مع سائر الأقطار العربية على تجزئتها أو تجزئة غيرها ؟

ترون أيها الأستاذ أنه لا يوجد فى مثال بلجيكا ما يؤيد دعواكم بوجه من الوجوه .

أما قيمة المثال الثانى الذى ذكرتموه ، فلا تختلف عن ذلك كثيراً : فان سويسرا أيضاً من مناطق تلاقى وتشابك اللغات ، تتلاقى فيها اللغات الفرنسية والألمانية والايطالية ، كما تتلاقى فيها أهم سلاسل الجبال الأوربية . . فلا يجوز اتخاذها دليلا على عدم وزن اللغة فى تقرير مصير الأمم بوجه من الوجوه . .

وأما المثال الثالث الذى ذكرتموه ، فهو أيضاً لا يؤيد دعواكم فى هذا الباب : أنا لا أرى لزوماً — فى هذا المقام — إلى شرح خصائص أمريكا ، ولا إلى البحث فى قضية العناصر بها . . . بل سأكتفى بالاشارة إلى عظمة المحيط الاطلنتيكى الذى يفصلها عن القارة الأوربية . . . وأعتقد أن هذه الاشارة وحدها تكفى للبرهنة على أن قضيتها لا تشبه قضيــة البلاد العربية بوجه من الوجوه . . . فان الأقطار العربية متصل بعضها ببعض اتصالاً جغرافياً تاماً . . . والقطر المصرى يشغل بين هذه الأقطار مركزاً هاماً . وأما الحدود التى تفصلها عن سائر الأقطـار العربية ، فتنحصر — فى بعض الجهات — بخطوط وهمية تمتد فوق رمال الصحراء . . . فهل تعتقدون أن هذه الخطوط الوهمية التى تفصل مصر عن سائر الأقطار العربية بصـورة اعتبارية واصطناعية ، تستطيع أن تعمل عملاً مماثلاً لعمل المحيط الذى يفصل أمريكا من أوربا بصورة حقيقية وطبيعية ؟ . . .

***

بعد أن شرحتم ، أيهـا الأستاذ ، وجهة نظركم فى الوحدة العربية ، رأيتم أن تقدموا نصيحة إلى محدثيكم الشبان ، فقلتم :

إن كان لى نصيحة أسديها إليكم فأن تتمسكوا بالواقع العلمى وتهملوا سواه ، مهما كانت قوته العاطفية والخيالية . افهموا أن المنفعة تسير الشعوب . فان لم تفهموا هذا اليوم فسترغمون على فهمه غداً . . .

أنا أضم صوتى إلى صوتكم فى هـذه النصيحة ، من حيث الأساس ؛ غير أننى أنكر عليكم النتائج التى وددتم أن تصلوا إليها تحت حماية هذه النصيحة . . .

تقولون إن المنفعة تسيّر الشعوب ؛ فهل تعتقدون أن « اتحاد الأقطار العربية » مخالف لمنافعها أو خال منها ؟ وهل تدعون أن منافع كل واحد من الأقطار العربية ستحول دون اتحادها ؟

أما أنا فأعتقد عكس ذلك تماماً . أعتقد أن فكرة الوحدة العربية لا تستند إلى العاطفة وحدها ، بل تستند إلى المنفعة أيضاً . أعتقد أن منفعة مصر نفسها تتطلب منها الاتحاد مع سائر البلاد العربية ، كما أعتقد أن منفعة مصر فى هذه القضية ليست من المنافع البسيطة الطفيفة ، بل هى من المنافع الهـامة الحيوية . . وإذا كان الذين يقدرون أهمية هذه المنافع لا يزالون قليلين اليوم ، فلا شك فى أنهم سيكثرون يوماً بعد يوم

وعلى كل حال أؤكد لكم أننى من الذين يؤمنون بالوحدة العربية ويدعون إليها ، لا بتأثير العواطف فحسب ، بل بملاحظة المنافع أيضاً . . ولهذا السبب عندما قرأت قولكم : « إن المنفعة تسيّر الشعوب » قلت فى نفسى حالاً : « وهذه المنفعة هى التى ستسيّر المصريين نحو الوحدة العربية ، عاجلاً أو آجلا »

هـذا ، وأرى ألا أختم اعتراضاتى دون أن أتوجه إليكم بكلمة شكر ، فانى أشكركم من صميم فؤادى على مناداتكم بتوحيد الثقافة بين البـلاد العربية ، لأننى أعتقد أن توحيد الثقافة من أهم العوامل التى تهيئ سائر أنواع التوحيد . . . فأقول بلا تردد : اضمنوا لى وحدة الثقافة ، وأنا أضمن لكم كل ما بقى من ضروب الوحدة .

« بغداد » أبو خلدون ساطع الحصرى

مقياس الثقافة

للأستاذ عبد الرحمن شكري

يرى أكثر الناس أن الحق جوهر لا يتجزأ، وأنه إذا كان عند إنسان أو طائفة من الناس لم يكن عند خصومه أو خصومهم شيء منه. ومن ير هذا الرأي تضؤل ثقافته ويضؤل فكره. وهؤلاء المؤمنون بالحق قد يرون من المنكر الشنيع أن يجزئوه بين خصمين أو أكثر. وفي الناس طائفة أخرى على شيء من الثقافة تستطيع أن ترى ما للأضداد من الحق، ولكنها من أجل ذلك لا تؤمن بالحق لزعمها أن الحق لا يتجزأ، فإن تجزأ انعدم؛ وإنكارها الحق بسبب تجزئه نقص في ثقافتها ينشأ من قليل من الثقافة، فإن بعض الثقافة قد يعوق عن بعض. والدهماء وأشباه المتعلمين يغرون بمحاكاة هذه الطائفة في إنكار الحق، والتشبه بها في الزراية عليه من غير بصيرة ولا فهم، ويتشبهون بها في الزراية على كل ذي حق من فضل في العلم أو العمل أو الخلق، ويتشبهون بها في إظهاره بمظهر المزيف المخادع. وإذا كثر أمثال هؤلاء وأشباههم في أمة ماتت روحها وأصابها الركود وإن كانت حية ترزق. والرجل من هؤلاء إذا وجد لانسان حقاً أنكره، وإذا وجد له نصف حق أنكره، وإذا وجد له ثلث حق أو ربع حق أنكره، لأنه في سريرة نفسه لا يرى لنفسه ذرة صغيرة من الحق تعدل اعترافه بجزء غيره من الحق أو كله. وكلما عظمت الثقافة عرف كل خصم جانب الحق الذي لخصمه، بقدر عرفانه جانب الحق الذي في ناحيته؛ وهم إذا عرفوه حقيقون أن تقل الخصومة بينهم، ولكن ربما لا تنعدم، لأن كل إنسان يرى لنفسه من الحق نصيباً أكثر من نصيب غيره، فيتقاتلون على تعيين حدود أجزاء الحق إن لم يتقاتلوا على تعيين حدود الحق كله. على أن الثقافة كفيلة بأن تلطف تلك الخصومة، لأن المثقف الباحث في نفسه المفكر فيها كثيراً ما راجعها، فاذا عادى عادى وهو يحسب في خصومته حساباً لما قد يكون من خطأ النفس الذي لم يفطن له بعد في تقدير حقها، ويحسب أنه ربما يفطن له في مستقبل أمره. أما غير المثقف فانه لا يستطيع أن يحسب حساباً لما قد يكون من خطأ النفس الذي لم يفطن له. ولعل ألصق خصائص الثقافة وألزمها لها عرفان أوجه الحق عرفاناً ملحاً يدعو إلى الاعتراف بها ويدعو إلى حسبان سقطات الفكر من غير قصد وإلى إسقاط المرء الشيء ولو القليل من الثقة بالفكر كي يعدل به ما قد يكون من خطأ لم يفطن له.

وقد ولع بعض الكتاب بالزراية على الحق زراية ليست زراية من يريد أن يقلقل المتنطسين في التشيع لجانب منه عن تنطسهم كي يدركوا الجوانب الأخرى، وإنما هي زراية الجاهل الذي يريد أن تعم الفوضى كي يكتسب فيها ومنها من غير حق، كاللص الذي ينتهز فرصة فوضى العراك كي يسرق دراهم الناس. وأمثال هؤلاء الكتاب يجدون رواجاً في أوساط التدهور حيث يصير السخر بالحق وأوجهه خطة عامة لا يستثنى منها فضل أو علم أو عمل أو خلق. فلا غرابة إذا ماتت روح أمة هذا شأنها وإن كانت حية ترزق. والحق عند الجاهل كالدنيا عند الأبله الساذج بقعة حول نفسه أو داره أو قريته. وكلما زاد المرء علماً كبرت الدنيا في نظره حتى يعرف أنها عوالم ونظم شمسية عديدة لم تحص بعد. وكلما ازداد المرء فطنة وثقافة عظم الحق في ذهنه كعظم الدنيا في رأي علماء الجغرافية والفلك. على أن عظم الحق في نظر المفكر قد يعدم الحق كما رأينا، فيقول المرء لا حقيقة في الحياة، بل كل أقوال الناس دعاوى باطلة، وإنما مَثَلُ نظر هذا المفكر إلى الحق مَثَلُ نظر المُطِلّ في الماء وقد قذف فيه بحجر، فهو ينظر إلى دائرة موقع الحجر في الماء تتسع حتى تفنى. ولكن هناك حالة من حالات الثقافة يطمئن فيها المرء إلى أن تباين أوجه الحق لا ينفي الحق. ألم تر أن الدواء يشمل الأضداد ويشمل حتى السم، فلا ينفي ذلك أنه دواء. وحبذا لو فطن إلى ذلك أصحاب الأوهام الغريبة الذين لا يرون الخير إلا الخير المطلق الذي ليس متصلا بالشر، والحقيقة المطلقة التي لا تتصل بباطل ولا تتجزأ، فاذا وجدوا أن الخير في الحياة ممتزج بالشر قالوا أن لا خير ولا شر؛ وإذا وجدوا أن الحق ممزوج بالباطل قالوا أن لا باطل ولا حق، وإنما هي كلمات واصطلاحات، وإن كل إنسان يعد الحق والخير ما في ناحيته وما فيه نفعه؛ ولكن لو أن أحد الناس نظر في وجوه الناس ثم في وجوه الحيوانات والطيور ثم قال: إن اختلافها يدل على أن ليس في الكون ما يسمى وجها أكان يكون مصيبا في مقاله؟

وكذلك من نظر إلى الدنيا نظرة الراهب الزاهد فيها ونظرة المقبل على مباهجها وأطايبها ونظر إليها نظرة القوى ثم نظرة الضعيف وجد أن أوجه الحق مختلفة، أكان يكون مصيباً لو قال إن اختلاف أوجه الحق ينفى الحق؟ أليس قوله مثل قول من يعرف أن النور إنما يتكون من ألوان عدة، ويقول إن اختلاف مظاهر الألوان التى يتكون منها شعاع النور ينفى وجود النور. وإنما دفعه إلى إنكار الحق أن تغاير وجوه الحق قد يجعله عند الناس كمقياس من الجلد القابل للتمدد يتخذونه لقياس الأقمشة وهم تارة يمطونه إلى نصف مط، وتارة يمطونه إلى آخر ما يستطاع فيه من المط حسب أهوائهم. وكذلك يطيلون الحق ويقصرونه حسب أهوائهم فيصير الحق مقياس محتال وآلة خداع فتقل حماسة المرء فى سبيل الحق، ويحتقر الجهاد فى الحياة لنصرة الحق، ويدفعه اختلاف أوجه الحق إلى إنكار الحق، ويهيء له العذر فى نصرة الباطل لأنه يرى أن الاحساس بالحق والباطل يختلف كاختلاف الاحساس بالحر والبرد حسب الأمزجة والطبائع. وإذا نظرنا إلى أكثر المتمضين من الحياة الراجين إصلاحها وجدناهم من أصحاب المزاج الشاذ أو من ذوى الفشل أو الفقر؛ وبالرغم من أن أساس هذا الامتعاض فردى، وأنه شعور خاص، فانه من وسائل الرقى والاصلاح، ويؤدى إلى كثير من الخير والحق. وكذلك إذا نظرت إلى أصحاب المزاج المعتاد وأهل النجاح والسعادة وجدتهم يكرهون كل تغيير، ويرون صلاح الحياة فى بقاء كل قديم على حاله؛ وبالرغم من أن أساس رأيهم شعور خاص بما فيه النفع لهم فانهم يدافعون عن الحق الكائن والخير القديم ويفطنون إلى ما فى رأى المتمضين من الحياة الراغبين فى إصلاحها من وهم وباطل وشر وإن لم يفطنوا إلى ما فى رأى هؤلاء من حق وخير. والرجل المثقف هو الذى يستطيع أن يجمع بين النظرتين من غير أن ينعدم الحق فى نظره، والذى يعد فريضة التشبث بالقديم ليست من الباطل بل هى الحجر الذى يحتك به زناد المتطلعين إلى منازل الرقى الراغبين فى إصلاح الحياة فيورى هذا الاحتكاك نور الحق ونار الحياة. وإنما ضربنا مثل هاتين الطائفتين كى نوضح أن اختلاف منازل الحق لا ينفى الحق. وليس من الصعب تطبيق هذه الفكرة بالرجوع إلى كل أمر من أمور الحياة، وإلى كل فريق من طوائف الفكر والعمل، وإلى كل مذهب من مذاهبهما ومن أجلها كانت كل حقيقة متممة لأختها؛ ولا يتم الحق فى رأى إلا بما فى نقيضه من حق، كما لا يتم الباطل فى رأى إلا بما فى نقيضه من باطل متصل به أو قد يتصل به. والذى يحير المفكر الذى لا يجد فى الثقافة عزاء ولا هو ممن يتغلب على نزعات الفكر الحر بالتعصب لجانب منه أنه يريد حياة بسيطة ولكنها ليست بسيطة، بل إنها كالخيط المعقد تلوى بعضه فى بعض. فاذا استراح المرء إلى الثقافة وجد فيها عزاء، ورحب صدره ولبه بقدر اتساع الحق فى نظره، ولم يحزنه اختلاف أوجه الحق، ولم يضله إلا فى ساعات كلل الذهن أو ساعات الخوف أو التعب أو السقم والتشاؤم الذى يتهيأ فى هذه الحالات أو فى مثلها. على أن مذهب من ينكر الحق بسبب اختلاف مظاهره هو أيضاً من الوسائل التى تستقيم بها الحياة وتستفيد منها، فالحياة تتخذ من كل مذهب وسيلة وتقبل نفعه وتدفع ضره، ومذهب من ينكر الحق لاختلاف مظاهره تستطيع الحياة أن تداوى نقيضه وهو مذهب المتعصب لجانب واحد من جوانب الحق. وإن المفكر ليرى فى العقل البشري على العموم خصيصة تمكنه فى بعض حالاته من قبول أى رأى أو معتقد سواء أكان قريباً أم بعيداً، متزناً أم غير متزن، جليلا أم غير جليل. وهذه الخصيصة قد تدعو إلى الباطل، ولكن من الثقافة ألا ييأس المفكر من أجلها لأنها دليل على أن العقل البشرى قادر على أن يرى كل جانب من جوانب الحق فى الأمور فى أثناء التخبط فى جوانب الباطل منها. وما دام الرأى لا يصير عادة أو قيداً وسجناً أو ألفاظاً ميتة مستحبة أو شيئاً لا يصح الرجوع عنه بطريق الثقافة، فالأمل معقود بالتخبط والتهدى حتى ولو قبل العقل البشرى من الآراء فى بعض الأماكن والأزمنة والحالات ما قبلته عقول زنوج الغابات ونفوسها وما قبلته عقول القبائل البشرية من آراء رهيبة يصف أمثالها السير جيمس فرزر وسجموند فرويد. وأشد منها رهبة وخطراً على العقول البشرية أن يحرم محرم فى أرقى الدول الحديثة حضارة وفكراً على العقل البشرى أن يفكر إلا فيما تسمح بالتفكير فيه تلك الدول، لأن الأمل معقود بتخبط الفكر البشرى وتهديه ما دامت الثقافة رائده، وما دام الرجل المثقف يفسح صدره لرأى خصومه، لأن كل جانب من جوانب الحق قد يتصل بجانب من جوانب الباطل، إذ بينهما تقارب وتناسب؛ فالرغبة فى بلوغ الكمال وولوع الفكر

به وبتحقيقه مما يوطد سبل التقدم، ولكنها أمور قد تدفع إما إلى اليأس إذا فشلت، وإما إلى الاجرام فى أثناء محاولة تنفيذ أغراضها، فتكون داعية إلى الحق من ناحية. وإلى الباطل من ناحية أخرى، وكذلك الرأي القائل بإنكار استطاعة رقى الانسانية وكما لها قد يؤدى إلى الحق الذى فى جانب الاتزان والتؤدة والمحافظة على الحق المستطاع بدل لفظه فى سبيل الحق المنشود. ولكنه قد يؤدى من ناحية أخرى إلى الأثرة وتبرير الفساد الموجود لأنه موجود فى وجود أنكر هذا الرأى إمكان إصلاحه . والرأى القائل بالايثار له جانب حق كما أن للأثرة جانباً آخر يُنشد فى تهيئة الآحاد والأفراد بالقوة والاقدام ، وفى قوتهم وإقدامهم قوة للمجتمع الانسانى وإقدام له

وعمل الثقافة فى الحياة هي أن تؤسس الحياة على أساس صالح يوفق بين جوانب الحق فى الاضداد ، وأن تفصل بين كل جانب من جوانب الحق وما يلائمه من جوانب الباطل

عبد الرحمن شكرى

صور من الحياة فى بغداد

للدكتور زكى مبارك

يظن فريق من الناس أن الحياة متشابهة الألوان ، وإن اختلفت البلاد . وحجة هذا الفريق أن الناس متقاربون أشد التقارب فى الغرائز والميول . ويشهد بصحة هذه الحجة أن مذاهب الناس فى ملاعبهم وملاهيهم قد تقترب فى هذه الأيام مما كانت عليه قبل آلاف السنين. وكذلك تقترب مذاهبهم فى فهم الحقائق الأخلاقية والاجتماعية ، بحيث يمكن القول بأن حكماء مصر وبابل والهند والصين فى العصر القديم عبروا عن آراء وأفكار ليست بعيدة كل البعد عما نعرف فى العصر الحديث

وقد دهشتُ حين زرت مدينة رُوَان فى سنة ١٩٢٧ فقد رأيت بعض الأحياء القديمة هناك تشبه بعض الأحياء القديمة فى القاهرة من حيث تخطيط الشوارع وهندسة البيوت

وكذلك دهشت حين زرت بغداد فى السنة الماضية، فقد رأيت فيها أحياء تشبه بعض الشبه حىّ الداوودية بالقاهرة ، من حيث إقامة الرواشن وزخرفة الأبواب

والحق أن هناك موجات مدنية تغمر العالم من حين إلى حين فتوحّد مذاهبه فى العيش بعض التوحيد . يوضح ذلك ما نراه من طغيان المدنية الأوربية فى هذا العصر : فهى تكاد تحوّل العالم إلى شكل واحد فى الملابس والعادات والمذاهب الماشية ، وكذلك كان الحال يوم سادت المدنية المصرية والمدنية الرومانية والمدنية العربية

ولكن تشابه الناس فى بعض مناحى التفكير وخضوعهم لطغيان بعض المدنيات لا يمنع من وجود خصائص أصيلة يمتاز بها بلد عن بلد ، وشعب عن شعب

وهل يمكن القول بأن الوحدة السياسية فى قطر من الأقطار تفرض أن يتّسم بوحدة اجتماعية ؟

إننا نعرف أن أهل مصر يختلفون فى كثير من العادات والتقاليد باختلاف المناطق ، ولو شئت لقلت إن عندنا مِصرَيْن : مصر الشمالية ، ومصر الجنوبية ؛ ولكل ناحية من هاتين الناحيتين خصائص ومميزات تتمثل فى أشياء كثيرة منها طرائق التعبير وأساليب الغناء

ونعرف أيضاً أن فرنسا تنقسم إلى أمم وشعوب بالرغم من وحدتها السياسية ، ولكل أمة من تلك الأمم مذاهب فى العيش والتعبير ، ولها كذلك أذواق خاصة فى الطعام والشراب

فاذا انتقلنا إلى العراق الذى نخصه بهذا الحديث لم نجده بدعاً بين الأمم والشعوب ، وإنما نجده يتأثر فى عاداته وتقاليده بما يخضع له من تيارات جوية واجتماعية واقتصادية

وهل يمكن أن يتم التشابه بين أهل البصرة وأهل الموصل فى كل شىء ؟

إن الذى يطلب ذلك يصح فى ذهنه أن يتشابه (الصمايدة) و(البحاروة) فى كل شىء ، وذلك غير معقول

تقدّم الموصل فتروعك سنابل الحنطة وهى تتموج فى واسعات الحقول ، وتقدّم البصرة فيروعك النخيل الذى يعد بألوف الألوف

وتدخل بغداد فترى فيها سمات من الشمال وسمات من الجنوب

* * *

فهل نستطيع بعد هذا التمهيد أن نجد صوراً خاصة من صور الحياة فى بغداد ؟

إن الصور التى تتفرد بها بغداد كثيرة جداً ، ولكن كيف نبرز الملامح من تلك الصور الخصوصية ؟

هنا أشعر بأن الوصف أصعب ضروب البيان ، ولكنى سأحاول رسم ما رأت عيناى من الصور البغدادية

وأبدأ بالحديث عن أذواق أهل بغداد فى تنظيم السهرات

وكلامى فى هذه القضية يحتاج إلى سناد مما قرأتم فى كتب الأدب والتاريخ ، وأنتم قد قرأتم أن البغداديين كانوا مولعين بالموسيقا والغناء . فاعرفوا اليوم أن هذه النزعة لا تزال حية فى بغداد ، ومن النادر أن تقوم سهرة بلا غناء

ويظهر جمال هذه العادة اللطيفة إذا تصورتم ما يقع فى دجلة أيام الصيف . ولدجلة من هذه الناحية منظر أخاذ حين تمسي ملعباً للسفائن الخفيفة الروح التى تحمل أفواج اللاهين واللاعبين وبأيديهم آلات الطرب وفى قلوبهم مشاعل الوجد المشبوب

وأنتم تذكرون أن الجاحظ نص على استكراه المغنّي الوسَط فاعرفوا اليوم أن لذلك صلة بالحياة العراقية . فكل إنسان فى العراق يرى من حقه أن يغنى ، وكان الأمر كذلك لأن جو العراق يهيج الشجون . وقد حدثتكم مرة بأن العراق هو البلد الوحيد الذى لا تنقطع فيه الحمائم عن النواح

ومن أجل هذا أيضاً نص أدباؤهم وفقهاؤهم على آداب الوجد والسماع والشراب ، لأن السهرات الوجدانية لها فى ماضيهم وحاضرهم مكان ملحوظ ؛ وهم يشدون إليها الرحال من أرض إلى أرض ، وقد يتحملون فى سبيلها ما لا يطاق

ولكن ما هو الغناء الذى يميل إليه البغداديون في هذه الأيام ؟

عندهم فن من الغناء يسمى الأبوذية ، وهو فى أغلب أحواله غناء حزين ، ولكنهم مع ذلك يصطنعونه فى الأفراح ، والحجاز بين الفرح والحزن حجاز دقيق عند من يعرف أن العراق حين يطرب قد تجود عيناه بالدمع السخين

وقد كلفوا في الأعوام الأخيرة بأغانى أم كلثوم ، كلفوا بها كلفاً شديداً جداً ، وهم يعلنون عن سهراتها فى جرائدهم بالمجان . ولشعرائهم فى الهيام بأغانى أم كلثوم قصائد جياد

ولا يبعد عندي أن يدّعوا نسبتها إلى العراق بعد حين ، فأم كلثوم فيما يظهر سرقت حنجرتها من الحمائم الوصلية. والله أعلم!

ولم يكن أهل بغداد يطربون لأغانى عبد الوهاب . ولذلك سبب تحسن روايته فى هذا الحديث

كان عبد الوهاب زار بغداد فى عهد الملك فيصل ، طيب الله ثراه ، وكان وقع في غلطة ذوقية ثار لها البغداديون ، كان لقيهم بمظهر من الارستقراطية لا يرتاحون إليه فانصرفوا عن أغانيه كل الانصراف

ولكن تغير الحال حين رأوا فلم « يحيا الحب » فأحبوه إلى حد الجنون

ويظهر أن السيدة التى غنت أنشودة البرتقال هى السبب فى انجذاب البغداديين إلى عبد الوهاب، فتلك السيدة عراقية الملامح وهى تشبه ليلى فى تقاسيم الوجه ورخامة الصوت

* * *

أترك هذا وأنتقل إلى صورة ثانية

قلت مرة إن أنهار العراق مسمكة جداً ، فاعرفوا اليوم أن عندهم لوناً من الطعام هو السمك المسقوف

والسمك المسقوف مشهور جداً فى بغداد ، وينص عليه فى الدعوات كأنه من غرائب الأشياء

ولكن السمك المسقوف له تقاليد يعرفها أهل بغداد ، فهو لا يؤكل فى كل وقت وفي كل مكان ، وإنما يؤكل بالليل وفي الفضاء

وإنما سمي مسقوفاً لأنه يوضع فوق قضبان من الحديد ثم تشب من حوله النار فينضج بالحرارة ، كما يصنع من يشوون اللحم فى محل (الدهان) إن كنتم رأيتموه

وفى دجلة جزيرة صغيرة ينحسر عنها الماء بعد الفيضان ، وهم يسمونها جزرة ، وأهل بغداد يختارون هذا المكان لأكل السمك المسقوف فى ليالى الصيف ، ويظهر أنه كان مجال اللهو والطرب منذ أجيال طوال ، فهو يواجه الكرادة ، والكرادة فيما يظن كثير من البغداديين محرفة عن كلواذ التى قال فيها أبو نواس :

قالوا تنسك بعد الحج قلت لهم
أرجو الاله وأخشى طيرناباذا
أخشى قُضيِّب كرم أن ينازعنى
رأس الخطام إذا أسرعت إغذاذا
فان سلمتُ وما نفسى على ثقة   من السلامة لم أسلم ببغداذا

ما أبعد الرشد ممن قد تضمنه … قطربُلٌ فقرى بنّا فكلواذا

والتى دعا عليها مطيع بن إياس فقال :

حبذا عيشنا الذى زال عنا … حبذا ذاك حين لا حبذا ذا
زاد هـذا الزمان شرا وعسراً … عندنا إذ أحلنا بغـــداذا
بلدة تمطـر التراب على النا … س كما تمطر السماء الرذاذا
خُرِّبت عاجلاً وخرَّب ذواله … رش بأعمال أهلها كلواذا

وقد دعيت ليلة لأكل السمك المسقوف فى تلك الجزرة ، وكانت سهرة لطيفة فى ليلة قمراء ، ويظهر أن النسيم أراح أعصابي فغلبنى النوم ونحن عائدون فى السفينة ، ثم استيقظت مذعوراً على صراخ النساء فظننت أن السفينة أشرفت على الغرق، ثم ظهر أنها اصطدمت بالأرض ، فضحكت وحمدت الله على النجاة !

وإنمـا نصصت على هذه الصورة لتعريفكم بأن لأهل بغداد ألواناً من الطعام تغاير الألوان المصرية ، والفرق بعيد جدا بين ألوان الطعام فى القاهرة وألوان الطعام فى بغداد . والظاهر أن المائدة المصرية الحديثة منقولة عن المائدة التركية، ولا كذلك المائدة العراقية فلها مذاق خاص بأهل العراق ، وربما كان لها اتصال بما يتذوق الفرس والهنود

قد تقولون : ولكن أكل ما تختص به بغداد هو الطعام والشراب والغناء ؟

إن قلتم ذلك فانى أجيب بأن لبغداد خصائص غير هذه الخصائص ، منها الجد الرصين الذى يتمثل فى تناول الحياة من نواحيها العنيفة فى الكفاح والجهاد

وأؤكد لكم أن البغداديين صبروا على ما لم يصبر عليه أصدق الرجال

صبر البغداديون على بلايا كثيرة أخفها الأوبئة والطواعين ، وصبروا على مكاره الدهر وتصاريف الزمان

والبغدادىّ له لحظات بؤس يواجه فيها نفسه وهمومه ورزاياه ، والشعور بالكرب هو أخص ما يلازم البغدادىّ حين يجلس وحده فى المقهى أوفى البيت ، وهذا الحزن القاتل الذى يساور أهل بغداد من حين إلى حين هو الذى يجعلهم أقرب الناس إلى الفرزة الانسانية ، وهل يسيطر الحزن إلا على كبار القلوب ؟

وأعيذكم أن تظنوا ذلك الحزن علامة من علامات اليأس .

لا ، فالبغدادى يأنس بحزنه ليتخذ منه ذخيرة لمواجهة الخطوب .

وما عرف البغداديون مواقع النصر فى التاريخ إلا فى أعقاب الأحزان

وتفسير ذلك سهل : فالحزن الموجع هو الذى يحمل الرجل على أن يستيئس فيستقتل ويستميت

والحق أن البغدادى يسرف فى الفرح ويسرف في الحزن ، ومن هذه الطبيعة المزدوجة استطاع البغداديون أن يكونوا من أسمح الناس وأشجع الناس

وما وقع بصرى على رجل من أهل بغداد إلا تألمت وحزنت، لأنى أرى الدهر طبع على وجوههم سمات الحزن الدفين ، ثم يخف ألمى وحزني حين أتذكر أن تلك الوجوه الشواحب تعرف كيف تصبر على مواجهة الخطوب

وما كانوا جميعا مكروبين ولا محزونين ، ولكن الأقدار أبت أن تسبغ عليهم ثوب الصفاء ، ليكونوا كأشجار البادية التى تقاوم العواصف وتصبر على الظمأ والقيظ بلا توجع ولا أنين

ولكن ماهى الصور التى يدفع بها العراقيون تلك الموجعات ؟

للعراقيين أساليب كثيرة فى جلب المسرات إلى قلوبهم ، منها الاشتغال بالفروسية والتأهب للحرب ، فمن أعظم الملاهى عند الشبان العراقيين فى هذه الأيام أن يكونوا طيارين وجنوداً وضباطا فى الجيش ، ويظهر هذا اللون من اللهو فى أجمل مظاهره حين يُستعرَض الجيش أو حين يقوم سباق الطيران

وما أقول إن هذا النوع من أنس النفس بمظاهر القوة خاص بالعراق ، لا، فهو موجود فى كل أرض ، ولكن إقبال العراقيين عليه يتّسم بسمات من الروعة توحى إلى من يراه أنه من خصائص أهل العراق

ومن كان فى ريب من صدق هذه الحقيقة فليتصل بالراديو العراقى مرة ليسمع بعض الأناشيد الوطنية أو العسكرية ، فان فعل فسيعرف أن الحماسة فى صدور الشبان العراقيين حماسة رائعة جدا ، وأنها صادقة كل الصدق لا تكلف فيها ولا افتعال

ومن هذه النزعة نشأ عند العراقيين عيب جميل وهو الغرور القوى ، فالعراقيون يعتقدون اليوم أن جيشهم أقوى جيش فى

فى الشرق ، ويندهشون حين يسمعون أن مدرسة الحربية فى القاهرة أعظم من المدرسة العسكرية فى بغداد . وقد نشرت إحدي جرائدهم مرة أن مصر أوفدت أربعة شبان ليتعلموا فى المدرسة العسكرية عندهم ، فصدقوا الخبر وعلقوا عليه فى المجالس والأندية والجرائد

وترجع هذه السذاجة الطريفة عند الجمهور العراقى إلى منزع جميل هو قوة الروح المعنوى هناك

وهذا الروح تمده روافد كثيرة فى العراق يصدر بعضها عن المدارس وبعضها عن الجمعيات والأحزاب

ويجب أن أنص فى هذا الحديث على ظاهرة نفسية كاد يتفرد بها العراق، وهى إلحاحه على وجوب الاسراع فى تكوين الوحدة العربية ، فهم يتكلمون ويخطبون ويكتبون كل وقت فى تأييد هذه القضية ، ويتمنون على أسلوبهم فى السرعة أن يتم ذلك بعد يوم أو يومين

وهذه الظاهرة تفسر ظاهرة أخرى لا يفطن إليها كثير من الناس

وبيان ذلك أن الصحافة العراقية لا تملك حرية التعبير فى كثير من الأحيان

والذى تصل إلى أذنه أخبار القيود التى تعانيها الصحافة العراقية يتوهم أن العراق يعيش فى ظل الجور والاستبداد

والواقع غير ذلك . الواقع أن الحكومة العراقية تعرف الفورات التى تصطرع فى أنفس الشبان ، وتعرف أنهم يتساءون إلى أغراض لا تتحقق فى عام أو عامين ، فترى من الواجب أن تحمى أولئك الشبان من النزعات المتطرفة التى يخرج لهيبها من الجرائد والمجلات

والواقع أيضاً أن حرية الصحافة فى مصر تؤذى كثيراً من أهل الشرق ، فهم يتوهمون أننا صرنا أعظم منهم لأننا نملك من الحرية الصحفية ما لا يملكون ، ولو أنهم تدبروا لعرفوا أن حرية الصحافة فى مصر لا تؤذى أهل مصر إلا قليلا ، لأن المصريين عرفوا مصايرهم السياسية والاجتماعية منذ أعوام ، وهم لا يستوحون الجرائد فى كل وقت، ولا ينزعجون حين يقرأون غرائب الاتهامات فى الجرائد والمجلات بفضل ما درجوا عليه من نقد الأخبار والأحاديث

وهذا الذى أقوله يفسر الخبر الذى قرأته فى جرائد العراق منذ أسابيع، فقد أصدرت وزارة المعارف العراقية منشوراً يحرم على المدرسين أن يتعرضوا لغير الشؤون العلمية فى ساعات الدروس

وليس فى هذا المنشور شىء من الغرابة، لأن المدرسين ممنوعون من الخوض فى السياسة فى جميع البلاد، ولكن تأكيد هذا المعنى من وقت إلى وقت شىء يحتاج اليه المدرسون فى العراق

قد سمعتم أشياء كثيرة عن العراق فى هذا الحديث، منها الجد الصارم ومنها المزاح المقبول ، فاسمحوا لى أن أضيف إلى الصور السوالف صورة أجمل وأروع ، وهى اهتمام أهل العراق بأخبار أهل مصر وشغفهم بأن يسمعوا ما يسرهم عن هذه البلاد

فمن تقاليد الشبان والكهول فى العراق أن يقرأوا المجلات المصرية وأن يستمعوا ما يأتى فى الاذاعة المصرية ، ومنهم من يعرف تخطيط القاهرة وإن لم يرها مرسومة فى خريطة لكثرة ما يتأثر بالأوصاف المبثوثة فى الجرائد والمجلات

إن الشبان فى العراق يتأثرون خطوات إخوانهم فى مصر ويتمنون لهم المزيد من نعمة الصحة والعافية

فيا أبناءنا فى المدارس المصرية ، تذكروا ، ثم تذكروا

تذكروا أن لكم إخواناً فى الأقطار العربية والاسلامية ، وهؤلاء الاخوان يسألون عنكم فى كل وقت ، ويتمنون أن تتسع آفاق أذهانكم فتعرفوا أنكم لستم غرباء فى الشرق ، وأن الفتى منكم إذا شرّق وجد أهلا بأهل وإخواناً باخوان

إن الشرق يدعوكم إلى أن تتعرفوا إليه كما يتعرف إليكم، فليكن من أمانيكم أن تزوروا الحواضر العربية والاسلامية وأن تعقدوا صلات المودة والاخاء مع إخوانكم فى الشرق

تذكروا يا أبناءنا فى المدارس المصرية أن الوطنىّ الصادق هو الذى يخلق لوطنه صداقات ومودّات ، فكونوا أوفياء لهذه المعانى فى خدمة الوطن الغالى

والله يتولاكم برعايته ، ويسبغ عليكم ثوب العافية فى العزائم والضمائر والعقول

« مصر الجديدة » زكى مبارك

الحقائق العليا فى الحياة

الإيمان . الحق . الجمال . الخير . القوة . الحب

للأستاذ عبد المنعم خلاف

الايمان

بقية الحديث فى مصير الانسانية

إن مصير الانسانية ليس بالأمر الذى يمر عليه القلم بدون إلحاح فى تركيزه في العقول وتبيين آثاره فى الحياة وفى النفس . إنه الحياة كلها فى رأى الدين ، والعدم كله فى رأى الالحاد . وشتان بين الحياة كل الحيـاة ، والعدم كل العدم فيما وراءهما من آثار ! شتان بين أن يعتقد الانسان أنه جنين فى بطن الدنيا سيولد منها ولادة ثانية ، وبين أن يعتقد أنه سيخرج منها سقـطاً مَسْبُوتاً هالـكاً إلى غير رجعة ! إنها مسألة عظمى فى قيمة الانسان وفى سكينته واطمئنانه إلى مركزه فى الحياة

إن الانسان العادى غير الصوفى لا يحتمل أن يتلقى القول بأنه مخلوق للحياة هنا فقط ، دون أن يثور على الحياة أو يقنط قنوطاً قاتلاً لحيويته

لقد وصل القول عنـد بعض الفلسفات إلى اعتبار الانسان مظهر الإلـهية أو شرارة من روحها ! فكيف إذاً ينطمس هذا المظهر ، أو تنطفئ تلك الشرارة ؟

ثم لنرجع إلى ما يثبته العقل للخالق من حكمة وعدل تقتضيهما ضرورة الـكمال الإلـهى الذى لا يستطيع العقـل أن يستغنى عنه كصفة ثابتة للإلـه ، فنتساءل : هل فى الدنيا مع آلامها وشرورها عدل مطلق ؟ يجيب المؤمن والملحد عن ذلك جواباً واحداً : كلا ! ثم يفترقان ، فيذهب المؤمن إلى أن كمال العدل المطلق وراء هذه الحياة ، فى تلك الحياة المثالية التى فيها كل خيالات الـكمال وأطياف السعادة التى طافت بأحلام كل الناس وسكنت رؤوس الفلاسفة والحـكماء ، أوجدها فى نفس الانسان إلهام عميق خفى لتتم الصورة العقلية للـكمال الآلـهى . وفى هذه المقدمات وفي نتائجها المستمدة من منطق الطبع ومنطق التجريد راحة النفس المؤمنة وسكونها وطمأنينتها

أما النفس الملحدة فماذا عساها أن تصنع غير طيران خواطرها فى فراغ لا قرار له ؟ إنها لا تملك أن تسقط على قرار حتى تتحطم فتستريح ! ومِلاكُ ما تنتهى إليه أن حياتها كحياة تلك الحشرات والديدان التى « تعيش » على الروث والعفونة فى الظلمات ثم تموت عليها وتدفن فيها ! ولتَـنْحَ بعـد ذلك السموات أو فلتسقط ! ولتكن هذه العوالم الزاخرة بالعلوم والجمال والعجب العجاب لتراها فقط أشباح تلك الحشرات الصغيرة والـكبيرة من بُعْـدٍ فتقتل غيظاً كل يوم ألف مرة ثم تذهب إلى غيبوبتها الكبرى مع الجمادات كما كانت ! والحياة إذاً بلا قصد أو غاية ، والرءوس الانسانية إذاً تفرز التفكير كما تفرز الكبد الصفراء ، أو كما يفرز ذيل العقرب السم !

سلام لك أيتها النفوس المعذبة مما أنت فيه وإنه لعذاب غليظ !

إن الإلهام الذى فيك من الخالق ينـاديك : أنت المقصودة بالخلق فى الأرض ... أنت خالدة ...

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى »

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين . لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق . ولـكم الويل مما تصفون »

* * *

ثم مادام كل ما فى الفلسفة فروضاً لا تدخل فى قليل أو كثير إلى العلم اليقينى ، فما بالنا نترك الايمان بوجود مصير رفيع للانسانية على أنه فرض فلسفى ؟ إنه أصح الفروض وأصلحها للحياة الدنيا وأدعاها إلى الاصلاح المستمر المخلص

وهنا دليل ينبع ويستنبطه العقل من بين ما أقول : ذلك أن أقرب الفروض إلى الحق فى الدنيا هو ما يدعو إلى صلاحية النفس للحياة وإصلاحها لها ، وما يحل به أكبر مقدار ممكن من المشكلات ، وما صح تطبيقه على وجه الشمول بين الناس فى كل مكان وزمان . ذلك مبدأ تسلم به الفلسفة والعلم ومذاهب الأخلاق

ومصير الانسانية إلى حياة أخرى أسمى من هذه الحياة هو ذلك الفرض الذى ينطبق عليه ذلك التعريف السابق ، هو لا غيره

وقد عودتنا الحياة الدنية أنها لا تحترم ولا تبقى إلا ما يتفق

مع حفظ قوانينها ويضمن اطراد تقدمها . فمتى خلينا الدنيا من هذا الفرض أمام الانسان فهنالك تكون الحالقة : حالقة العمران. وإذا كانت معرفة مثل الزهاوي أن الانسان لا يأتي إلى هذه الدنيا مرتين قد حملته على أن يطلق لنفسه العنان في اقتراف اللذات ويدعو إلى ذلك فيقول :

لا تقف في وجه لذا ... تك مكتوف اليدين
أنت لا تأتي إلى دنيـــاك هذى مرتين

فما بالنا لو عرف الناس أنهم لا يأتون إلى دنياهم ولا يذهبون إلى مصير آخر ؟ إنهم يفعلون كل جريمة للذة وانتهاز فرصة الوجود الواحد في هذه الحياة التي ليست حينذاك إلا وليمة أدبها لنا القدر لنتلذذ ونتشهى فيها كما قال الأول :

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

وحق لهم أن يفعلوا ذلك !

***

ينبغي أن تعلم وتتذكر دائماً أن « إرادة الحياة » إنما تحفل غاية الاحتفال بعقليات أكثرية الانسانية لا بعقليات هؤلاء الفلاسفة المسرفين ، وقطيع الانسانية يسير بالهام مركب كما تسير قطعان الحيوانات الأخرى بالهام بسيط ، وإذا كانت قطعان الحيوان لا تحتاج في حياتها إلى فلسفة لأنها تسير بنظام أشبه بالنظام الآلي فان الانسانية تحتاج في سيرها في الحياة إلى الفلسفة ولكن من غير إسراف . فلا يفرضن حكيم أو فيلسوف شذت فيه شعلة الخيال والذكاء وقوة الافتراض عقله وطريقة إدراكه للأشياء على جميع عقليات الانسانية المرهونة بالبسائط والمسجونة في أقفاص فولاذية من الضرورات الجسدية . وقد دلت الانسانية بتاريخها المتيد أنها لا تستجيب لخيال الفلاسفة المسرفين إلى درجة الهذيان أحياناً . ومن مصيبة بعض الفلسفات أنها تتخذ الشك ديناً ؛ والشك حسن على أنه باب إلى اليقين عند من في عقولهم محطات ورباطات تقفهم عند البديهي ، لا على أنه حالة استقرار فانه حينئذ يُجِنُّ ويشقى ويشرد العقل الانساني وينفيه من حياة الالهام البسيط والمركب ، وكل شيء في الحياة لغز وأحجية من ذرة المادة وصورها وتكوينها وطاقاتها وقواها إلى الروح وأسرارها وخفاياها . كل شيء يحمل كل عقل بصير يقظ على أن يقف أمامه دائراً بأسئلة عنه لا عدد لها . وقد نقلنا في مقال « النار المقدسة » المنشور في عدد سابق من الرسالة عن « ملكن » العالم الكهربائي الكبير قوله : « خبروني ما هي المادة ؟ أخبركم ما هي الروح ... »

وقد خابت الفلسفة اليونانية في أن تخرج ديناً عاماً يتبعه جميع اليونان ، دع عنك أكثر الناس . وكانت كل مدرسة من مدارسها لا تظفر إلا بعدد محدود من التلاميذ لا يلبثون أن يتفرقوا بعد موت أستاذهم أو في حياته ، من غير أن تقدم إحدى تلك المدارس إلى الناس وازعاً يقوم مقام وازع الوثنية التي كانت تضج بها معابدهم . ولا يزال « العقليون » خائبين في إيجاد ذلك الوازع الأدبي الذي يحكم الجماعة من الداخل كما تحكمها القوانين من الخارج . ذلك لأن الانسانية ممدودة بالالهام الذي يربطها بما وراء الطبيعة . ولن تستغني عن وازعه بما تقدمه لها العقول ؛ إذ هي من جهة حائرة في أي العقول تتبع ، ومن جهة أخرى هي لا تؤمن بما تصنعه هي ، ولا تعتمد عليه في رغبتها ورهبتها . وما تقدمه إليها العقول مصنوع مخلوق أمامها فهو أرضي ضعيف غير ممدود بما وراء الطبيعة ، فلا يعزي ولا يخيف ولا يرغب .

وهذا هو ما يسلمنا إلى الحديث عن « النبوة والرسالة » ووجوبهما . والعمدة فيهما على معرفة « الوحي » وقد خرج الحديث عن الوحي من منطقة الفلسفة إلى منطقة العلم بالبحوث العلمية الأخيرة في النفس الانسانية وقواها وأسرارها . وهي بحوث مبنية على التجارب التي هي أداة « العلم » بمعناه الاصطلاحي الآن .

(الرستمية) — عبد المنعم خلاف

وقعت بعض الأخطاء المطبعية في المقال الثاني مما لا يتغير معه المعنى كثيراً ومما يدركه القارئ بالسياق إلا واحدة أرجو تصحيحها هي : « علما منهم أن الله راض لهم الفتنة » وصوابها : « راصد لهم الفتنة »

أمـــــر ؟!!

من زينب الحكيم إلى توفيق الحكيم

هناك في حلوان على يسار الداخل إلى الجهة اليمنى (الشرقية) من الحديقة «اليابانية» يرى الزائر: جانباً من الحديقة منسقاً بفكرة خاصة؛ حيث هيئت بركة مائية على شكل حدوة الحصان من قاعها، وينتهي وسطها بزاوية حادة من أعلى حواشيها

وأقيم كشك على شكل مظلة، على الأرض التي تتوسط البركة من الطرف المفتوح من الحدوة، وقد زين هامشها بالزهور وسياج من السلك الشائك. ووضع تحت المظلة مقاعد خشبية، جلست على مقعد منها، بحيث أتمكن من رؤية البركة كلها وما يحيط بها

نسق هذا الجزء من أرض الحديقة، على شكل سهل يرتفع بالتدريج، إلى ربوة منحدرة خضراء، شيدت على قمتها مظلة مثل التي أجلس تحتها. أما حواشي البركة فترتفع من الجهة اليمنى، وتنخفض من الجهة اليسرى تبعاً لطبيعة ذلك الجزء من الأرض. وأقيم على حافتها من الجهة الشمالية الشرقية، عدة تماثيل طوبية اللون (أي أشبه بلون طوب البناء الأحمر الضارب إلى الصفرة)

والذي استرعى انتباهي هو اتحاد جميع التماثيل في الشكل والنوعية والفن. ولم يشذ منها إلا تمثال واحد، تبينت أنه لسيدة، وهو أكبر حجماً

أحصيت تمثال الرجل الواحد فوجدتها ثمانية وأربعين تمثالاً، صف ستة عشر منها على حافة البركة اليمنى، ثم يأتي تمثال السيدة، ويتبعه على الجهة ذاتها اثنا عشر تمثالاً يقع موضع آخر واحد منها في وسط هامش البركة. ثم يتبعه في اتجاه مقابل من الجهة اليسرى عشرون تمثالاً

ما عسى أن يكون المعنى الذي يشير إليه هذا الوضع؟ إنه يشبه مجلساً ملكياً ترأسه ملكة وهؤلاء مستشاروها. لكن الغريب في هؤلاء المستشارين أنهم جميعاً سواسية في الجلسة والهيئة والسحنة والرداء وكل شيء، حتى تلك الدائرة الصغيرة البارزة الموضوعة على جباهها. ورءوسها كلها عارية خالية من الشعر، أما رأس الملكة فتغطيه جدائل سميكة من الشعر، مصففة بشكل يحيط الرأس ويغطي الجبهة حتى تلك الدائرة الصغيرة البارزة في وسطها

عجيب هذا! – وما معناه –؟ الكل يرتدي ثوباً منسدلا منسجماً عليه بنظام واحد كون شبه قلادة حول العنق تتدلى إلى الجزء الأعلى من البطن، أما عند السيدة فتنحدر قليلا إلى أسفل. ووضعت اليدان متقابلتين على الحجر فوق الركبتين، والراحتان منقبضتين في يسر، والابهامان ملتصقين، وشكلها كما لو كان الانسان يفكر في شيء مهم يشغل كل انتباهه وجميع حواسه. فالتماثيل كلها مسبلة الجفنين، مطبقة الشفتين، تومئ قليلا إلى أسفل، وتتجه جميع الوجوه إلى الأمام

عجيب هذا الأمر الذي جعل من تسع وأربعين شخصية مختلفة شخصية واحدة، كأنما تنازلت عن ذواتها في سبيل هذا الأمر الواحد، فظهرت كلها متحدة متشابهة! أو لعلها شخصية واحدة تحت لها ثمانية وأربعون تمثالا وراءها تمثال لسيدة لا يختلف عنها كثيراً!

وأنت أيتها السيدة، منصرفة إلى تفكير عميق مثلهم، لا تمتازين إلا بشيء آخر غير الشعر، وهو أن يديك وإن كانتا تشبهان باقي الأيدي في وضعها إلا أنهما شاذتان عنها في نوع القبضة وتقابل الابهامين، حيث يدل منظرها على تمسك برأي أو بمبدأ. وكأنما تعرضين هذا الأمر على مجلسك فيقبله مستشاروك بروح سلام وإعمال فكر، بدت آثاره على محياهم، وانصرف جميعهم إلى التفكير العميق فيه بلا انقطاع؛ ويلوح أن الكل مشبع بروح الود والاخلاص والتضحية، والرأي لم يبرز نتاجه بعد، ولم يتم حكمه

ترى ما هذا الأمر الذي لا يترك أثراً للتأفف على الوجوه، ولا على السلوك؟!

ها هي ذي الشمس تشع، ويسطع نورها على التماثيل التسعة والأربعين فيعمل اختلاف مسقط الظل عمله، فتظهر التماثيل المتحدة، بأشكال وسمات مختلفة؛ وبذلك تنعكس طبائع النفوس على حقيقتها وإن اتسمت كلها بسمة واحدة ووضع واحد ونوعية واحدة في ظاهرها. إن فن المنظور يحتم تضاؤل أو تعاظم هذه التماثيل بالنسبة لارتفاع المواضع أو انخفاضها، وبالنسبة لبعدها أو قربها. وها هي ذي عين الانسان، تتغير نظرتها وتتبدل، بالنسبة لهذه التماثيل مرات في وقت قصير

الشمس تحجبها السحب، فيظهر المنظر كله من نوع آخر ومعنى آخر. وإذا ماء البركة الذي كان يتماوج ويوحي الفلسفة،

ويدعو إلى التفكير ويستلهم منه مجلس التماثيل الاستشارى الصامت إلهامه من لحظات مضت — قد تسرب ، وظهر قاع البركة جافا ، إلا من بضع نقر بها أوشال من الماء هنا وهنا . ولكن التماثيل لا تزال هى هي ، في وضعها وسماتها ، تومىء إلى تلك البركة في رخائها وجدبها ، وارتفاعها وانخفاضها ، وطهرها وأسنها

وعقلية تلك التماثيل ومنطق وضعها الدال على فكرة خاصة ومقصد مبهم ، لاتزال جادة فى تفكيرها وتدبيرها لذلك الأمر الواحد ترى ما هو ؟!

الطبيعة الصامتة تكوّن بيئة فخمة لذلك المجلس الصامت . العشب الزبرجدى يكسو الربوة العظيمة التى خلف المكة وحاشيتها من الناحية اليمنى ، والشجيرات الأرجوانية الزهر ، نامية رابية وراء الصف المقابل من التماثيل فى الناحية اليسرى ، ويهتز مع النسيم ورق وغصون الأشجار العالية خلفها جميعاً ، والشجيرات الخضراء التى بين كل تمثال وآخر ، تحمل قليلاً من الزهر الأبيض النقى ، يضع أوسمة على صدور بعض التماثيل ، وتمسح غصون لطيفة خضراء على رءوس البعض الآخر أو تظللها .

ويحجب بعض التماثيل كلها أو أجزاء منها عن ناظرى الأشجارُ المشذبة المتناثرة هنا وهنا ؛ والطيور تحلق وتغرد ، وتهبط وتصعد ، والزوار يغدون ويروحون منهم المفكر واللاهى ، والمستشفى والساعى ، ومنهم الطفل ومنهم الكهل .

كلها مناظر وأوضاع تستدعى الانتباه واليقظة ، ولكن يخرجنى من هذا كله صوت ذلك الناقوس البعيد ، فأنظر إلى السماء فاذا بها السماء بزرقتها وسحبها وطيورها ، وأنظر إلى الأرض ، فاذا بها الأرض بترابها وأحجارها ، ومائها ودوابها وأشجارها .

وأنظر إلى ما حولى ، فاذا بى أرى المجلس الصامت بين الطبيعة الصامتة ، والكل وراء أمر غامض .

ترى ما هو ؟!

وأنظر أخيرا إلى ساعتى ، فاذا بها الواحدة ، ووقت الغداء فى الفندق قد حان ، فأنصرف مسرعة الى الحياة العملية التى لا نصيب منها الا كسرة بها نقتات ، وخرقة بها نحتمى .

أما التفكير ، وأما الفلسفة ، وأما التصور — فلغير هذا العالم .

زينب الحكيم

جورجيــــاس
او البيان
لأفلاطون
للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٦ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بان تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

« إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائى : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »
٤ — بولس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثينى : « ك »(١)

ط — (رداً على بولس الذى سلم بقول سقراط) ولنأخذ الآن الحالة المضادة ، ولنفرض أنه يجب أن ننزل شراً بأحد من الناس عدواً كان أم غير عدو ، وإنما على شريطة ألا نكون قد أصبنا منه بسوء — إذ يجب أن نحذر من ذلك تماماً — فاذا كان إذاً

(١) انتصر « سقراط » كما مر بنا على « جورجياس » ، ثم انتصر من بعده على تلميذه « بولس » عند ماقرر فى العدد الماضى وجوب التقدم للعقاب وقبول أحكامه بارتياح لأنه الوسيلة المجدية فى « تحرير النفس » وتخليصها من أردأ الشرور وأقبحها وأعنى به « الظلم » . وسنرى اليوم « كاليكليس » الأثينى يدخل فى المناقشة بكل نشاطه وحماسه ليسند جانب « جورجياس » المتداعى ، وليشد أزر « بولس » المهزوم ، كما سنرى المناقشة تدور حول « حق الأقوى » في الطبيعة وما يتصل به من الحرب والاستعمار . ولعل القارىء الكريم يذكر أن فلسفة « نيتشه » قد دارت حول ذلك الموضوع بالذات ، بل لعله يرى أن « نيتشه » لا يكاد يخرج فى العصر الحديث عن أقوال « كاليكليس » مخلوق أفلاطون العجيب ، ومن هنا سيكون إعجابنا عظيما عند ما نرى « سقراط » يمزق تلك الأقوال ببراعته الفائقة « المعرب »

غيرنا هو الذى أصيب منه ، فيجب أن نبذل كل الجهود الممكنة من أعمال وأقوال حتى لا يعاقب ولا يمثل أمام القاضى ، وإذا هو قُدّم إلى المحكمة فيجب أن يعد السبيل لفراره وعدم عقابه ، بحيث لو كان قد سرق كمية كبيرة من الذهب فانه لا يعيدها إلى صاحبها بل يبقيها وينفقها على نفسه وأتباعه بطريقة ظالمة جاحدة ، وبحيث لو كان قد استحق الموت بجرائمه فانه ينجو منه ، بل إذا أمكن ألا يموت أبداً وأن يخلد برداءته وشره ، أو إذا أمكن على الأقل أن يعيش إلى أطول حد مستطاع بحالته تلك — فليكن له ذلك ... !

تلك يا بولوس هى الغايات التى يلوح لى أن البيان يستطيع أن يخدمها[1] لأنى لا أراه يقدم فائدة كبيرة لذلك الذى لا يستطيع أبداً أن يرتكب ظلامة ما ، إذا صح أن يقدم له أية فائدة ! وقد رأينا فى مناقشتنا السابقة أنه (أى البيان) لا يصلح لشىء[2]

ك — أخبرنى يا شيريفين ! أترى سقراط جاداً فيما يقول أم هو يهذر[3] ؟

ش — يلوح لى يا كاليكليس أنه جاد كل الجد ، ولكن ليس أفضل من أن توجه إليه سؤالك

ك — وأنا أرغب فى ذلك كل الرغبة وحق الآلهة ! أخبرنى يا سقراط : أيجب أن نعتقد أنك كنت جاداً طوال هذه اللحظة أم كنت تهذر ؟ ذلك أنه إذا كان كلامك مقصوداً ، وإذا كان قولك حقا ، فان حياتنا الاجتماعية لا شك معكوسة ، وإنا لنفعل — فيما يلوح — نقيض ما يجب أن يفعل !

ط — إذا لم يكن الناس يا كاليكليس خاضعين لأهواء واحدة وكان لهؤلاء اتجاه ولأولئك اتجاه آخر ، بل وكان لكل منا هواه الخاص الذى لا يتصل بأهواء الغير ، فانه لا يكون سهلاً ولا ميسوراً أن نجعل الغير يدرك ويفهم ما نشعر به ، وإذا كنت أقول ذلك فانما أقوله لأنى قد لاحظت أننا الآن — أنت وأنا — فى نفس الحالة ، فنحن الاثنين عاشقان لموضوعين اثنين ، أنا « لألسبياد بن كلينياس » والفلسفة ؛ وأنت « لديموس » الأثينى « ولديموس بن فيريلامب[1] » ، ولذلك أتخيل دائماً أنه بالرغم من فصاحتك الخاصة ، فان كل مايقوله موضوع غرامك وهواك وأى نحو يري به الاشياء ، لن يجد منك القدرة على مناقضته ! بل إنك سوف تترك نفسك كالريشة فى مهب أفكاره ، بحيث لو قد بسطتَ فى الجمعية العمومية فكرة ما ، وقام « ديموس » الأثينى يعارضها ، فانك ستتركه يفعل ما يشاء ، وستعدل من لهجتك تبعاً لأهوائه ؛ كما أنك قمين بأن تفعل مثل ذلك إزاء هذا الفتى الجميل ابن « فيريلامب » ! ذلك لأنك يا كاليكليس فى حالة لا تسمح لك بمعارضة رغبات وأقوال محور عشقك وهواك[2] ، بحيث إذا دُهِشَ بعضهم وبُهت فى كل مرة تتكلم فيها ، وساير أقوالك فوجدها سخيفة ممتلة فانك ستستطيع أن تجيبه — إذا أردت أن تقول الحق — بأنه إذا لم يمنع أحد « غرامك » من أن يتكلم كما يتكلم ، فانك لن تستطيع أن تمنع نفسك من أن تقول ما تقول ! فقل لنفسك إذاً إنها يجب أن تنتظر نفس الاجابة من ناحيتى . ولا تعجب من الأقوال التى سأقولها ، ولكن أرغم — (إذا استطعت[3]) — موضوع حبى — (وهو الفلسفة) — على أن يكفّ عن قول ما يقول ! إنه هو فى الحقيقة يا صديقى العزيز الذى يقول من غير توقف ماتسمعنى أردده فى هذه اللحظة ، وإنه لأقل تغيراً بكثير من موضوعات غرامى الأخرى ؛ لأن « ابن كلينياس » يتكلم أحياناً بطريقة أخرى ، بينما لا تتخذ الفلسفة دائماً إلا قولاً واحداً ؛ إنها هى التى نطقت بالأقوال التى أدهشتك ، والتى ساعدت بنفسك فى مناقشتها ؛ وأكرر أنها بالتالى هى التى عليك أن تناقضها ، فبرهن إذاً على أن ارتكاب الظلم والعيش بعد ارتكابه دون عقاب ليس بأفدح الشرور ؛ وإلاّ فاذا تركت ذلك القول دون أن تنقضه ، فانى أقسم لك « بالكلب » إله المصريين يا « كاليكليس » أنك لا تتفق مع نفسك ، وأنك تعيش معها فى اضطراب دائم ؛ وأنا أفضل من ناحيتى يا صديقى الحاذق أن تكون لى ربابة غير متوافقة الأوتار وكلها نشوز ، أو أن أكون رئيساً لفرقة مغنين مضطربة

(١) أليس ذلك ما يحدث أحيانا فى المحاكم حيث يسخر بعض المحامين بيانهم فى تبرئة «الظالم» على حساب المظلوم ؟ سنرى سقراط ينزه «البيان» فيما بعد ويسمو به عن الانحطاط إلى ذلك التسخير ، بل ويقصره على خدمة العدالة وحدها وإذاعتها بين الناس

(٢) حسبما استطاع سقراط أن يخرج من أقوال الدعى « جورجياس »

(٣) وهنا مبدأ دخول « كاليكليس » الأثينى فى المحاورة بكل نشاطه بعد هزيمة « بولوس » « المعرب »

(١) تلاحظ هنا براعة سقراط فى دخوله على خصمه الجديد فنرجو القارئ متابعة هذه البراعة بصبر حتى مبدأ المناقشة الجدية فى الموضوع لأنها عذبة للغاية « المعرب »

(٢) هكذا يقرر علم النفس الحديث . ويلاحظ أن الترجمتين اللتين تحت يدنا تختلفان هنا لفظاً ومعنى فآثرنا الاعتماد على ترجمة الأستاذ « شامفرى » لأنها أقرب للمعقول « المعرب »

(٣) زائدة للانسجام « المعرب »

الأصوات ، أو أن أجد نفسي معارضاً ومناقضاً لأغلب الناس ، على أن أكون مختلفاً فقط مع نفسي ومناقضاً لها[١]

ك — [٢] يبدو لي يا سقراط أنك تبدع في كلامك كما يبدع الخطيب الشعبي ؛ وإنك لتخطب هكذا لأن بولوس قد أصيب بنفس الغيبوبة التي قد اتهم جورجياس بإصابته بها حيال أقوالك. والحق أن بولوس كان محقاً في قوله إن اعتراف جورجياس — عند ما سألته أنت هل سيعلم « العدالة » لذلك الذي سيقصد إلى مدرسته راغباً في تعلم البيان دون أن يعرف شيئاً عنها، وأجابك هو بأنه سيعلمه إياها جرياً وراء خجله الكاذب ، وخوفاً من أن يصدم آراء أتباعه السابقة الذين كانت ستغضبهم أية إجابة غير هذه — أقول الحق إن بولوس كان محقاً في قوله . إن هذا الاعتراف جعل الرجل يتناقض مع نفسه ويحقق ما كنت تبغيه منه تماماً ؛ ولكن ها هو ذا بولوس قد أصبح بحق « أيضاً » [٣] موضع سخريتك فيما يلوح لي ، وذلك هو السبب الذي جعله يضع نفسه موضع جورجياس : فاني لم أرض من ناحيتي عن موافقته لك على أن « الأقبح » هو ارتكاب الظلم لا احتماله : لأنك استطعت بعد ذلك التنازل منه عن رأيه أن تعرقل مناقشته بتدليلك ، وأن تقفل فمه فلم يجرؤ على الكلام متابعاً رأيه ، والواقع أنك في الوقت الذي تزعم فيه وتؤكد أنك تبحث عن الحقيقة وحدها نراك تسلك مسلك الخطيب الشعبي المهرج وتوجه الكلام نحو « الجميل » لا تبعاً لأحكام الطبيعة ، بل تبعاً لأحكام القانون ، ولكن الحق أن الطبيعة والقانون يتناقضان في أغلب الأحيان ، فاذا حدث وغلب الحياء على المتكلم فمنعه من التصريح بما يراه فانه يضطره إلى مناقضة نفسه ؟ وذلك هو السر الذي اكتشفته يا سقراط لتستعمله في نصب أشراكك وفخاخك في المحاورة ، حتى إذا تكلم أحدنا مشيراً إلى القانون ، سألته أنت بالاشارة إلى الطبيعة ، وإذا تحدث عما هو كائن في نظام الطبيعة سألته مشيراً إلى القانون ، وهكذا فعلت مثلا في الظلم المرتكب والمتحمل ، إذ بينما كان بولوس يتكلم عن الأقبح تبعاً للقانون ، كنت أنت تتابع المناقشة مشيراً إلى الطبيعة ، لأن كل ما هو « أردأ » في نظرها هو أيضاً « الأقبح » مثل احتمال الظلم ، بينما « الأقبح » تبعاً للقانون هو « الارتكاب » لا الاحتمال ، والواقع أنه ليس من طبيعة الانسان الحر أن يحتمل الظلم ، وإنما ذلك من طبع العبد الذي يرى أن الموت أفضل من الحياة ، والذي يؤثر ألا يدافع عن نفسه وهو محتقر مكلوم ، وألا يدافع أيضاً عمن يهمه أمرهم ؛ ولكني أرى أن الضعفاء والسواد الأعظم هم الذين سنوا القوانين ؛ وهم لذلك قد جعلوها لأنفسهم ولمصالحهم ؛ لهذا تراهم لا يوزعون ثناءهم ومديحهم ، أو لومهم وعتابهم ، إلا من أجل ذلك الصالح الخاص ولكيما يخيفوا الأقوياء — وهم أولئك الذين يستطيعون أن يعلوا عليهم — ولكيما يحولوا بينهم وبين ذلك العلو ، تراهم يقولون إن الظلم والعار في الطمع فيما هو أكثر من نصيبك ، وأن الظلم إنما يقوم في الرغبة في امتلاك شيء أكثر مما يمتلك الآخرون؛ وإني لأخيلهم يرضون ويقنعون بأن يكونوا على قدم المساواة مع من هم أفضل منهم ! وذلك هو السبب في أنهم يقررون في عالم القانون أن الطمع في إحراز ما هو أكثر من النصيب العام للأفراد ظلم وقبح ! بل ذلك هو ما يسمونه « بالظلم » ! ولكني أرى أن الطبيعة نفسها تعلن أن العدل إنما يقوم في أن ينال الأحسن أكثر من الأسوأ ، والقوي أكثر من الضعيف[١] ، وإنها لتقدم لنا ألف مثال لتثبت أن الأمر كذلك ، لا في عالم الحيوان فحسب ، بل في النوع الانساني أيضاً بين المدن والأجناس جميعاً ، حيث نستطيع أن نتبين أن العدالة تبنى أن يسود « الأقوى » على « الأقل قوة ! » وأن ينال نصيباً أوفر من نصيبه. فمثلا بأي حق في الواقع قام « Xerxès » بالحرب في بلاد الاغريق؟ وبأي حق قام بها أبوه في Scythie ؟ هذا إذا تركنا الأمثلة اللانهائية التي نستطيع أن نذكرها من ذلك النوع . إنهم يعملون فيما أرى تبعاً لطبيعة « الحق » ! وقسما بزيوس ، تبعاً « لقانون الطبيعة » الذي ربما خالف قانون الناس ! [٢]

(يتبع) محمد حسن ظاظا

(١) عظمة هذا الكلام في غير حاجة إلى بيان

(٢) يبدأ كاليكليس هنا ببسط أقواله الطويلة في أن « الحق للأقوى » كما هو الحال في نظر الطبيعة وفي حياة الحيوان وفي نضال الأمم بعضها بعضاً. ونرجو أن تتم هذه الأقوال في العدد القادم

(٣) زائدة الانسجام (المعرب)

(١) تلك هي النظرة التي خرجوا بها من نظرية التطور بما فيها من قوانين تنازع البقاء وبقاء الأصلح ، والتي حاول أن يتخذ منها « نيتشه » فلسفة التوسع والاستعمار ، وألمانيا فوق الجميع ؟ بل تلك هي النظرة التي طبقتها « السياسة » منذ فجر الانسانية حتى اليوم ، والتي يسرني ويسر القراء جميعاً أن نستمع إلى رد سقراط عليها في الأعداد القادمة « المعرب »

(٢) لحديث كاليكليس بقية طويلة طريفة « المعرب »

التعليم والمتعطلون في مصر

عيوب التعليم الحاضر وطرق اصلاحها

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

العيوب العامة

وجهنا عنايتنا في الماضي إلى نشر التعليم فقط بدليل البيان البليغ الذي نشره معالي هيكل باشا وزير المعارف الحالي في أول عهده بهذه الوزارة في مايو سنة ١٩٣٨. ولقد قمنا بما قمنا به من نشر على أساس النظم القديمة من غير أن نعمل عملا جدياً في سبيل إقامة التعليم على أساس جديد وطيد سداه المبادئ التعليمية الحديثة ولحمته القومية المصرية والطابع القومي، فالرجل المتخرج في إحدى المدارس القائمة منذ نصف قرن من الزمان إذا دخلها اليوم يرى الطابع القديم بارزاً بها، والروح القديمة متأصلة فيها، والنظام القديم قائماً بين جدرانها؛ ولا يرى التغيير إلا في إحلال مدرسين وتلاميذ حديثين بدلا من غيرهم من القدامى. وليس معنى ذلك الثبات على تقاليد قديمة مألوفة، ولكن معناه مع الأسف الجمود على نظم بالية معروفة؛ ومعناه كذلك أن كل مدرسة مصرية سواء أكانت في قنا أو الاسكندرية تسير على وتيرة أختها في كل شيء بدون تبديل ولا تحوير مهما بعدت الشقة بينهما ومهما اختلفت ظروفهما ومهما تفاوتت بيئتهما، مما دعا المستر مان إلى القول في تقريره: «قد سبق توجيه النظر في الفصل الثاني المختص بادارة التعليم العامة في مصر إلى خلو نظام التعليم العام من المرونة والتنوع. رأينا بعض ما ينجم من هذا الجمود من النتائج السيئة الأثر في التربية القومية، بيد أنه يستحسن أن نعيد القول هنا بأن كل مدرسة مصرية تماثل في الوقت الحاضر كل مدرسة أخرى من درجتها كل المماثلة التي يستطاع إيجادها بواسطة اللوائح والقوانين، وبأن نظار المدارس ومدرسيها يكادون يعدون بمثابة آلات لانفاذ ما تفرضه الادارة الرئيسية من خطط دراسية لم يشتركوا في وضعها، ولم يؤخذ رأيهم فيها إلا في حالات لا تكاد تذكر، وهذه الخطط تطبق تطبيقاً عاماً من الشلال إلى الاسكندرية على نمط واحد بدون أية مراعاة لمصالح التلاميذ وحاجاتهم المتنوعة وبغض النظر بتاتاً عما إذا كانوا من سكان الريف أو المدن وعما إذا كانوا سيحترفون في المستقبل الزراعة أو سيزاولون التجارة أو الصناعة في المدن. ويجب أن نؤكد مرة أخرى أن مثل هذا النظام لا يحول فقط دون الانتفاع بخبرة النظار والمدرسين الفنية ومعرفتهم للشئون المحلية في أغراض التعليم العامة، بل يمنعهم فعلا من استخدام مواهبهم وكفايتهم استخداماً تاماً في إدارة مدارسهم بحسب ما تقتضيه أحوال البيئة ومرامي التعليم، لأنهم مهما رأوا في المنهج العام وخطة الدراسة وعدم الملاءمة لحاجات تلاميذهم الخاصة فان واجبهم يحتم عليهم أن يتبعوها اتباعاً دقيقاً. أعود فأذكر أن ليس معنى ذلك الثبات على تقاليد معينة، إذ ليس لاحدى مدارسنا القديمة تقليد معين كتلك التقاليد المرعية التي يعرفها خريجو المدارس في انجلترا مثلا، ويفخرون بها، ويحافظون عليها.

هذا والمعلم القديم الذي باشر العمل في المدارس المصرية منذ عشرين سنة ولا يزال يباشره إلى اليوم يشعر بالأسف العميق يملأ جوانح قلبه مما يراه اليوم من الانحطاط العام الذي أصاب حالة التعليم فيها ومن روح التواكل والتكاسل التي عمت أرجاءها؛ وهو لا شك يشعر بالأسف العميق أيضاً إذ يحس أن روح الجد والعمل من ناحية التلاميذ قد انقلبت إلى روح استهتار وقلة اكتراث وكسل يصحبها ميل شديد إلى الأخذ بأكبر نصيب من المتعة واللذة وحياة الطراوة والهزل حتى حار فيهم المربون وضاقوا بهم ذرعاً، واستولى اليأس من إصلاحهم على قلوب الكثيرين؛ وأصبحت الحالة لا تطاق بين جدران المدارس بسبب ما يوجد من الاستهتار والرعونة والخروج على المبادئ الأساسية المرعية بين التلميذ ومعلمه. وإن الفوضى التي تنتاب المدارس أحياناً وبخاصة في الأسبوع الأخير من العام الدراسي من خروج على النظام والآداب وإتلاف لبعض أثاث المدرسة مما يتناول كرامتها وكرامة أساتذتها، لما يحزن له النفس ويهلع له القلب.

وهذه حال ستؤدي حتماً إلى تدهور خلقي أشنع مما تقاسيه البلاد الآن إذا لم تجد اليد القوية الحازمة الرادعة التي تضع الأمور في نصابها فتعيد إلى المدرسة كرامتها، وتجعل أساس المعاملة بين

التلميذ وأستاذه ومدرسته الاحترام الحقيقي المشوب بالعطف الأبوي يقابله في الوقت نفسه حب بنوي. وفي هذا يقول سعادة حافظ عفيفي باشا في كتابه على هامش السياسة «أما أسباب هذه الفوضى فهي ترجع إلى عدم تنفيذ القوانين المتعلقة بنظام المدارس تنفيذاً لا استثناء فيه. وإلى تركيز كل السلطة في وزير المعارف نفسه وإلى أخذ التلاميذ بسياسة مضطربة، فهي الشدة المتناهية أحياناً واللين المتناهي أحياناً أخرى والذبذبة بين الشدة واللين في أكثر الأحيان. الخ» وبعد كلام طويل عن تعديل القوانين بما يضمن للطالب الحرية في حدودها المعقولة، وللناظر والمعلم التمتع بالاحترام الواجب قال «... أما أن يشير ناظر المدرسة على وزارة المعارف بأن تتخذ نحو تلميذ بالذات قراراً معيناً فترفضه الوزارة أو تعدله فهذا هو الوسيلة لاضاعة نفوذ ناظر المدرسة. وبالتالي هو السبب لافساد النظام نهائياً فيها ...»

فاذا كانت المدرسة قد جمدت في نظامها فان التلميذ قد اندفع في حريته إلى الفوضى التي لا يقرها عدل ولا نظام. وخير علاج للحالة الأخيرة هو طريق الاقناع الفردي الودي المشوب بالعطف؛ فاذا لم يجد ذلك كانت الشدة واجبة كل الوجوب. ولا بأس من استعمال العصى أحياناً بيد عاقلة حازمة كما يجري في كلية فكتوريا وفي المدارس الانجليزية البحتة وقت اللزوم اتقاء للخروج على الآداب ودرءاً للخطر في المستقبل، متمثلين بقول الشاعر:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم

أما العيوب الفنية العامة الأخرى بالمدارس المصرية فتتلخص فيما يأتي:

أولا: تعدد الطبقات

الطفل المصري الراغب في التعليم الآن يجد أمامه من المدارس المختلفة المراتب والأوضاع والمزايا روضة الأطفال، والمدرسة الالزامية، والمدرسة الأولية، وفرقة تحفيظ القرآن الكريم، والمدرسة الابتدائية، والمعهد الديني، والملجأ، والمدرسة الأجنبية، والشارع وهو أهمها الآن، إذ تجد به من الأطفال حوالى مليون ونصف مليون، بينما جميع المدارس السابقة الذكر لا يبلغ عدد من يؤمها اليوم المليون عدا. فهذه المدارس الشعبية الأولى المتعددة تخلق أول تصدع في بناء الأمة الواحدة لأنها تخلق نظام الطبقات المختلفة في جسم هذه الأمة ذات الدين الواحد والعادات المتحدة، واللغة الواحدة. وخلق الطبقات بين أمة هذا حالها لا يقره دين ولا نظام، فالديمقراطية تنفر منه كل النفور لأنه لا يمكن أن يؤدي إلى الاشتراك في الميول والرغبات، ولا يمكن أن يؤدي إلى الاتحاد في الفهم العام، وهو أساس التفاهم بين الأفراد، فهو إذن ينزع إلى التفرقة الشاملة بين أفراد الأمة الواحدة، ولعل قيامه بهذا الشكل السر الأول في هذه الفرقة التي نحسها في ديارنا في كل شيء، وما دام قائماً في هذه المدارس المتباينة التي نرى في كل منها اختلافا في الطرائق والأساليب والمذاهب وطرق التفكير فلن تكون لنا وحدة متماسكة ولن نستطيع أن نخلق من أبناء النيل أمة متحدة في الفهم والقصد ترمى إلى غرض واحد وتتعاون في طريق واحد! فالى متى يا ترى يستمر تعليمنا عاملا جوهرياً من عوامل التفرقة، وخلق الطبقات المختلفة المتباعدة في الفهم، المتنافرة في التفكير، مما يؤدي إلى النزاع الدائم المستمر الذي ينهى الله عنه بقوله «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» ولقد كانت هذه النقطة هي الأولى التي لفت إليها نظر معالي وزير المعارف في تقريري الذي رفعته إليه من مدرسة الفيوم الابتدائية في ١٦ مارس سنة ١٩٣٦ لأنها من الأهمية بحيث تحتل المكان الأول من الاصلاح المطلوب، فلا سبيل إلى محو تلك الفروق والتقليل من تلك النزعات المختلفة بين أفراد الشعب الواحد والتقريب بين أفهامهم إلا بجعل أساس التعليم واحداً، ألا ترى كيف تعمل الدول المختلفة على نشر ثقافتها بين الشرقيين، وكيف تجهد نفسها، وتنفق الطائل من أموالها في سبيل جعل لغتها وطرق تعليمها هي السائدة حتى تتمكن من التفاهم مع تلك الشعوب. وتفوز بكسب عطفها وتقديرها

فالتعليم هو الطريق الفعال المؤدي إلى التفاهم والتعاون، لذلك أرى أن أساس الاصلاح هو في التوحيد بحيث لا يوجد بيننا غير نوع واحد من المدارس يبنى على أساس واحد يسمى بالمدارس الشعبية، تندمج في تكوينه كل أنواع المدارس السالفة الذكر، ويتعلم فيها أبناء النيل على السواء لا فرق في ذلك بين غني وفقير أو عظيم وحقير، تتلوه بعد ذلك مراحل التعليم الأخرى المختلفة فيشعر أطفالنا في تلك المدارس الشعبية العامة بأنهم جميعاً أبناء

شعب واحد تسرى عليهم حالة واحدة كما هو الحال فى سائر البلاد الأخرى ، ولا تفضيل لأحدهم على الآخر إلا بالجد والعمل والأخلاق الكريمة الفاضلة ، كما نشعر جميعاً ونحن فى المساجد متراصين متوجهين إلى الله أن لا فرق بين صعلوك وأمير . وكبير ، فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » . هذه الوحدة الشاملة والألفة العامة ، هى التى يجب أن تكون الغرض الأساسى من التعليم ، والتى يجب أن تكون المدرسة أول عامل على خلقهـا . قال ديوى : « ومن مفسدات الديمقراطية أن يسمح بإنشاء طبقات مستقلة فى الأمة ، فان التباين فى الثروة، ووجود عدد وافر من جهلة أرباب الصناعة، واحتقار العمل اليدوى والعجز عن إدارة التربية التى تمكن من التقدم فى سبيل الحياة ، كل ذلك يتضافر على إحداث طبقات مستقلة متفرقة وتوسيع شقة الخلاف والتفريق . على أن فى إمكان أرباب السياسة والتشريع أن يدفعوا شيئاً من هذه النوائل ، كما أن على أهل المساعى الخيرية القيام بشىء من هذا الغرض النبيل . إلا أن العامل الأكبر الأصيل فى هذا السبيل هو النظام المدرسى الشامل للأمة جمعاء » ثم يقول: «لا يجوز أن تكون تفرقة بين أنظمة المدارس، فلا ينبغى وجود نظام لأبناء الموسرين ، وآخر لأولاد العاملين بالأجور، فان الفصل المادى بين الفريقين بسبب هذا التنظيم لا يتفق مع ترقية روح الإخاء المتبادل »

ثانياً — عزلة المدرسة

المدرسة المصرية معزولة عن بيئتها عزلا تاما ، فترى التلاميذ يدخلونها فينقطعون عن كل ما يحيط بهم من الأعمال ، كما ترى المدرس أو ناظر المدرسة خصوصا فى الأقاليم يترفع عن الشعب الذى يزود المدرسة بأبنائه ، ويحاول الابتعاد عن أولئك الفلاحين كأنهم من طينة أخرى غير طينته ، لأنه يعتبر نفسه موظف حكومة كمأمور المركز، عليه أن يحتفظ بينهم بمكانته وعلو مركزه كما يتوهم ، وبذلك لا يختلط بهم ، ولا يمكنه أن يعرف الأحوال الحقيقية لأبنائهم الذين بالمدرسة ، ولا يستطيع أن يتعاون معهم التعاون الفعال على إصلاحهم بمعرفة نقط الضعف المختلفة فى تكوينهم . ثم إن التلميـذ يرسخ فى ذهنه الاعتقاد بأن المدرسة لاصلة لها بالحياة وما يجري فيها من زراعة أو صناعة أو تجارة أو أعمال، وبأنه إنما يجىء إليها ليقضى جزءاً من وقته فيها لغير ما غرض واضح فى ذهنه ، اللهم إلا إعداده لأن يكون موظفا حكوميا، ولذلك يندفع فى الابتعاد عن كل ما يمت إلى الحياة العملية بسبب، حتى إن بعض التلاميذ يتعجب عند ما يعلم أن المياه التى يشربها والتى تصل إلى منزله عن طريق الأنابيب أو عن طريق الترع والقنوات ، ما هى إلا من مياه نهر النيل الذى يرسمه فى علم الجغرافيا ، فما بالك بعد هذا إذا خرج يسعى إلى الكسب فى الحياة العامة ؟ إنه لا شك يكون كالأعمى أو كالذى يذهب إلى ديار مجهولة لا يعلم عن أهلها وعن أعمالهم شيئا ، فيحار فى أمره ويرتبك فى حياته ولا يدرى ما يعمل ليكسب قوته . وهـذا فى الحقيقة هو السبب الأساسى فى خلق المتعطلين وقعودهم عن العمل لجهلهم بأحوال بيئتهم وما يحيط بهم من ظروف وأعمال . ولو أن المدرسة لم تفصلهم انفصالا تاماً عن المزارع والمتاجر والمصانع المحيطة بهم وجعلت بينهم وبينها صلة قوية وجعلت من نفسها وحدة تشابه بيئتها لما كان ذلك العجز عن مواجهة الحياة . فهى إذن بعزلتها هذه تقصر فى تربية التلميذ وتكوينه من الوجهتين الفعالتين القويتين : وجهة الاتصال المباشر بالمنزل، إذ الواجب يقضى بتعاونهما تعاوناً عملياً على النهوض بالتلميذ وتحسين حاله الصحى والثقافى والخلقى ، ووجهة فصل التلميذ عن بيئته ، وما يجرى فيها من أعمال يحتاج إلى مزاولتها وممارستها فى مستقبل حياته . ولقد أصبح لزاماً على المدرسة المصرية كغيرها من سائر المدارس أن توجه أكبر عنايتها إلى ذلك .

عبد الحميد فهمى مطر

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ — ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٤٥ —

ليس الغرور لميت بمتاع ؛ ومايجدى شيئاً على الرافعى أن يكون كل وفاء العربية له أن تقول : كان وكان رحمه الله !

لقد كان الرافعى صاحبَ دعوة فى العربية وفى الاسلام يدعو إليها ؛ فحقُّه على العربية ، وحقُّ العربية على أدبائها ، وحق الاسلام على أهله ، أن نجدّد دعوته ، وأن نبقى ذكره ، وأن ننشر رسالته ، وأن نُعنى بآثاره ؛ فإذا نحن قد وُفِّقنا إلى كل أولئك فقد وَفينا له بعض الوفاء !

والآن فلننظر لنرى مقدار ما يمكن أن تصل إليه هذه الدعوة من النجاح ؛ وأمامنا إلى ذلك وسيلتان :

أولاهما أن نعرف مدى تأثير الناشئة من المتأدبين اليوم بأدب الرافعى ومذهبه ؛ والثانية هي البحث عن آثار الرافعى ومنشآته الأدبية وتراثه الفكرى لنحرص عليه من الضياع

فأما الأولى فان بين الرافعى والأكثرين من ناشئة المتأدبين فى هذا الجيل حجاباً كثيفاً يمنعهم أن ينفذوا إليه أو يتأثروا به لعوامل عدة :

فالرافعى أديب الخاصة ، كان ينشئ إنشاءه فى أى فروع الأدب ليضيف ثروة جديدة إلى اللغة تعلو بها وتَميز مكاناً بين اللغات ؛ ثم ليبدع أدباً يسمو بضمير الأمة ويشرع لها طريقاً تسير فيه إلى عظمة الخلد ومجد التاريخ

وشبابنا أصلحهم الله لا يعرفون الأدب إلا ملهاةً وتسلية ، لا ينشدونه للذة العقلية وسموّ النفس ولكن ينشدونه لمقاومة المَلَل وإزجاء الفراغ

فهذا سبب

والثانى أن الرافعى — رحمه الله — لم يكن يكتب الكتابة الصحافية التى ينشئها أكثر كتابنا ليتملقوا غرائز القراء بالعبارة المتهافتة والقول المكشوف . وعند المتأدبين من ناشئة اليوم أن قيمة الأدب هى بمقدار انطباقه على أهواء النفس وارتياحها إليه وقدرتها على أن تسيغه بلا تكلف ولا عناء

وثمة سبب آخر ، هو طغيان السياسة على الأدب فى هذا الجيل طغياناً أقحم على الأدب ما ليس فيه وعلى الأدباء من ليس منهم ؛ بحيث يتحرج أكثر الأدباء أن يقولوا قالة أو رأياً أدبياً فى أديب أو شاعر إلا متأثرين بما كان له من مذهب سياسى أو رأى فى السياسة المصرية .

والرافعى رجل — كان — لا يعرف السياسة ولا يخضع لمؤثراتها، ولم يكن يعتبر له مذهباً فى النقد إلا المذهب الأدبي الذي لزمه منذ نشأ فى الأدب ؛ فمن ذلك كانت خصوماته الأدبية تنتهى نهايتها إلى اتهامه فى وطنيته وفى مذهبه السياسى ؛ ورآها أكثر خصومه من كتاب الشعب فرصة سانحة لينالوا منه عند القراء ، فانتهزوها ، وبالغوا فى اتهامه ، وأغرقوا فى الطعن على وطنيته وتأولوا مذهبه ، حتى عاد عند أكثر القراء رجلا لا وطنية له ولا إنسانية فيه ولا إخلاص فى عقيدته . وما تزال السياسة عند أكثر شباننا ذات سلطان ، وما زال الأدب يجري فى غبار السياسة وهو أعلى مكاناً وأرفع منزلة ...

ولقد يضاف إلى كل أولئك سبب أخير ، هو أن أكثر ما كان يتناوله الرافعى من شئون الأدب هو مايتصل بحقيقة الاسلام أو معنى من معانيه . على أن الكثرة من ناشئة المتأدبين يريدون أن يفرقوا بين الأدب والدين ، فلا يرون ما ينشأ فى هذا الغرض لوناً من ألوان الأدب أو مذهباً من مذاهبه .

تلك جملة الأسباب ، أو مجمل الأسباب ، التى باعدت بين أدب الرافعى وبين الجمهور من ناشئة المتأدبين ، ما بد من النظر فيها والبحث عن علاجها حين نهم بأن نجدد دعوة الرافعى وننشر رسالته ، إن كان ثمة يقين بأن أدب الرافعى حقيق بالخلود ؛ وإن اليقين به ليعمر قلب كل أديب يؤمن بأن الدين واللغة هما أول المقومات لقوميتنا العربية المسلمة .

ذلك شىء .

أما آثار الرافعى فلها حديث طويل

هذه دكاكين الوراقين ليس فيها كتاب من كتب الرافعى ،

وهذا مكتب الفقيد عليه كتب من كتبه لم تطبع ولا يعرفها أحد من الأدباء

كل ما فى يد العربية من منشآت الرافعى هو صدى كلمات وعنوانات كتب ، أما حقيقتها ومعناها فقد انفرط الجيل الذى درسها أو كاد فلم يبق للجيل الناشئ منها غير عنوان :

ديوان الرافعى ، ديوان النظرات ، تاريخ آداب العرب ، إعجاز القرآن ، حديث القمر ، المساكين ، رسائل الأحزان ، السحاب الأحمر ، أوراق الورد ، تحت راية القرآن ، على السفود ، وحى القلم

هذا كل ما طبع من مؤلفات الرافعى ؛ فليسأل كل أديب نفسه : ماذا قرأ من هذه الكتب وماذا حصّل وماذا أفاد ؟

إنها لمكتبة حافلة جديرة بأن تنشئ مدرسة جامعة لمن يريد أن يتزوّد من العربية أمرأ زاد وأشهى غذاء ، ليكون أديبا له لسان وله بيان وله منزلته الأدبية فى غد

إنى لأ كاد أوقن أن تسعين من كل مائة من القراء لا يعرفون من هذه الكتب إلا أسماءها ، وإن منهم لمن يتوهم أن من حقه أن يتحدث عن الأدب ويؤرخ لأدباء الجيل

وما عيب على مَن لم يقرأها أنه لم يقرأها ؛ ولكن العيبَ كلّ العيب علينا عامة نحن المشتغلين بالأدب أن يكون كل وفائنا لمن يموت من أدباء العربية أن نقول كان وكان ويرحمه الله ولا نعمل على تخليد أدبه بما ننشر من آثاره

لقد أدى الرجل واجبه ما استطاع وبقى علينا فرضٌ واجب الوفاء

على أن ما سبق طبعه من كتب الرافعى هيّنٌ خطبه ؛ فسيأتى جيل يكون أكثر تقديرا لأدب الرافعى من هذا الجيل وسيُعيد سيرته وينشر أدبه

ولكن كتبا هناك ما تزال قصاصات من ورق على مكتب الفقيد تنتظر من يخرجها للناس قبل أن يسبق إليها العث والفيران

فهل فى أدبائنا وفي حكومتنا من العزم وحسن التقدير ما يحملهما على معرفة واجب العربية وواجب هذا الراحل ؟

كم نبكى وكم نعول على ما ضاع من تراثنا الأدبي وما فقدته المكتبة العربية من منتوج أدبائها الفحول فى عصر الجهل والانحطاط، وهذا تراث بين أيدينا يوشك أن يتبدد ويذروه الهواء!

***

لقد أورثنى الرافعى بعض تبعاته ، وإني لأحس بثقلها على عاتقى أكثر مما أحس بحاجتى إلى التحدث عن ماضيه

لقد عاش الرافعى حياته يجاهد لأمته ما لم يجاهده أديب فى العربية منذ قرون ، وقضى حياته يلقى من العقوق ونكران الجيل ما لم يلق أديب فى العربية منذ كانت العربية ؛ ومات فما كان حظه منا فى أخراه أحسن منه فى دنياه . فهل لى أن أؤمل أن تتنبه الأمة والحكومة إلى ما ينبغى أن يكون ، وفاء لهذا الراحل الكريم؟

ليس يكفى أن يكون كل وفائنا للرافعي ، حفلة لتأبينه وبضع كلمات فى الصحف لرثائه ، ولكن الوفاء حق الوفاء أن نعمل على تخليد ذكراه بتخليد أدبه ، وتجديد دعوته ، وإبقاء ذكره ، ونشر رسالته ، فليكن هذا الكتاب الذى أنشأته عن « حياة الرافعى » أولا له ما بعده ، لنفكر فى الوسائل النافعة التى تجدى على الأدب والعربية أكثر مما تجدى رسائل التأبين وكلمات الترحم والاسترجاع !

أما هو فقد انطوى تاريخه على هذه الأرض ، فلن يجدى عليه شيئاً ما نفعل وما نقول ؛ ولكن ما نفعله وما نفكر فيه إنما هو لخيرنا وجدواه علينا ، فلنفكر فى أنفسنا وفى ذواتنا وفيما يعود علينا وعلى العربية فى تجديد ذكر الرافعي ، إن كان يعز علينا أن نعمل أو أن نفكر إلا فيما تكون منفعته إلينا ولنا من ثمراته نصيب !

« شبرا » محمد سعيد العريان

فى اللغة

المؤنث والمذكر

فى اللغات السامية

للأستاذ عمر الدسوقى

(تتمة)

ذكرت فى المقال السابق أن المؤنث ليست له علامة خاصة به من حيث كونه مؤنثاً باعتبار الجنس ، وأن بعض الجموع والمصادر والصفات الدالة على المبالغة ، والأمور المعنوية ، تلحقها نفس العلامات التى تلحقه . وقلت إن الصلة بينها جميعاً هى الدلالة على القوة وبلوغ النهاية ؛ ووعدت أن أوضح سبب نظرة الساميين إلى هذه الأشياء نظرة الاكبار والتعظيم .

أتى على الانسان عصر كان يقدس فيه القوى الطبيعية ، المنتج منها والمدمر ، يتملقها بالعبادة والقرابين استرضاء لها واتقاء لشرها

كان يقدس الريح ، لأنها إذا سخطت أتت صرصراً عاتية ، تعبث به وبكوخه ومتاعه ، وتزأر زئيراً يقشعر له بدنه ، وترجف منه أوصاله ؛ وإذا رضيت أتت رخاء لينة ، تخفف حدة القيظ ، وقر الشتاء .

كان يقدس الشمس ، لأنها تبعث فى الحيوان والنبات الحياة والقوة ، وتجلب الضوء فتمكنه من السعى فى مناكب الأرض والخروج للصيد ، وتجعل من رمال الصحراء [١] ناراً متقدة ، ومن حرم ضوءها ذوى وذبل .

وكان ينظر إلى السماء وما حوت نظرة تقديس وإجلال ، فيراها موطن الأجسام المتلألئة اللامعة ، تهديه فى سراه ، وتمن عليه بالضوء ليلاً ونهاراً ، ويتطلع إليها كأنها مصدر القوى المسيطرة على العالم . [٢]

وكان يرى فى الأرض أماً يسكن إليها إذا ريع ، ويعتمد عليها فى طعامه ، وشرابه ، وحياته . درج عليها صغيراً ، وجاب نواحيها كبيراً . زرع فيها الحب فآتى أكله ، وغرس فيها الشجر فأثمر .

وكان يرى فى السحب إله الرحمة ، تنقع غلته من حياها ، وتنمى زرعه من غيثها ، وتدر الماء فتربو الأرض وتنتج من كل زوج بهيج

وكان يرى النار مصدراً للخير والشر ، تنضج له طعامه ، وتضئ له كوخه ، وتلتهم كل ما يملك

اعتبر كل هذه القوى أشياء طبيعية ، خفية ، غامضة ، ذات قدرة سحرية ، قادرة على النفع والضر ، فأشار إليها بضمير خاص مميزاً لها عن بقية الأشياء التى تقع تحت سمعه وبصره ، ذلك الضمير الذى يشير به إلى الأنثى ، وكانت فى نظره قوة منتجة ذات تأثير بين في حفظ النسل وإخراجه إلى الحياة وتمهده بالرضاعة والنمو ، ولأنها لغز لم يستطع إدراكه ، فهو لا يستطيع الحياة بدونها ، ويجدها مصدر العطف والرحمة ، واللذة والألم ، والقسوة والصبر

وكان الآشوريون وهم أقدم الأمم السامية وأقربهم إلى الأمة الأصلية ، يعتقدون أن المرأة وحدها هى التى تستطيع أن تفهم السحر وتقوم بالأعمال السحرية ، وأنها تعرف أسرار الغيب ، والتكهن بالمستقبل [١]

وكان عند العرب من العرافات والكواهن فى الجاهلية عدد لا بأس به كطريفة الخير [٢] ، وسلمى الهمدانية [٣]

وكان العرب يسمون كثيراً من آلهتهم بأسماء الاناث ، ولا سيما أقدمها وأعظمها ، فكانت « مناة » أعظم أصنام الأوس والخزرج ، وكانوا يجلونها وتعتبر أقدم أصنامهم [٤] . وكانت « اللات » أكبر أصنام ثقيف . وكانت « العُزَّى » أعظم أصنام قريش ، يزورونها ، ويهدون لها ، ويتقربون إليها . وقد قيل إن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكرها مرة فقال : « لقد أهديت للعزى شاة عفراء وأنا على دين قومى » [٥] . وهذه الأصنام الثلاثة هي التى خصها القرآن الكريم بالذكر

تلك كانت نظرة الساميين القدماء للأنثى : اعتبروها قوة من

(١) اتفق العلماء على أن موطن الساميين الأصلى هو جزيرة العرب ، خرجوا منه على دفعات تختلف المدة التى بينها طولا وقصراً ، وآخر هذه الموجات التى انفصلت عن الجزيرة العربية ، هى الموجة التى استولى فيها العرب على العالم القديم من بحر الظلمات غربا إلى الصين شرقاً فى صدر الاسلام . أنظر تاريخ الموجات البشرية للأستاذ محب الدين الخطيب صاحب المطبعة السلفية ومكتبتها .

(٢) ولعل هذا هو السر فى بقاء طوائف كثيرة من العرب تعبد الأجرام السماوية حتى مجيء الاسلام

(١) أنظر كتاب العلامة Winsing وهو Some Aspects of Gender in the Semitic Languages

(٢) زوج عمر بن عامر مزيقياء : أحد ملوك اليمن

(٣) بنت سيد همدان

(٤) راجع الأصنام لابن الكلبي

(٥) راجع الاصنام لأبن الكلبي ، ومعجم البلدان لياقوت

القوى المنتجة ، ونسبوا إليها القدرة على القيام بالأعمال السحرية والكهانة والعرافة

ولذلك أنثوا كل الكلمات الدالة على القوة ، والتي ترمز إلى أمر خطير ذي أثر بين في حياتهم : أنثوا الخمر لأنها تجلب إليهم المرح والسرور ، وتنسيهم أحزانهم وآلامهم ؛ وأنثوا الروح والنفس ، لأنهما من القوى الخفية التي بها يحيا الانسان وبدونها يصير جثة هامدة ، لم يقفوا على سرهما وكنههما : « ويسألونكَ عن الرُّوحِ قل الرُّوحُ من أمرِ ربي » . والنفس عندهم تعني الدم والنَّفَس ، ولا زال النَّفَس يعد قوة سحرية ، يسلطه السحرة على الأفاعي لتسكن إليهم وتطيع أوامرهم ولا تؤذيهم . وكانوا ينفخون على الجروح لتبرأ ، ولازال هذا معمولا به إلى اليوم

وأنثوا الحرب ، لأن فيها ضرا وفيها نفعاً ؛ يتخذونها مورداً لأرزاقهم ، فيسبون ويغنمون ، وإن كانوا يعرضون أنفسهم للتهلكة ؛ وتاريخ العرب في الجاهلية على ذلك شهيد

وأنثوا من أعضاء جسم الانسان أحد عشر عضواً ، كاليد والأذن والعين ، لأنها أوعية القوى التي يكون بها الانسان إنساناً ؛ وكانت اليد عندهم آلة البطش والقدرة والتأثير : « يَدُ الله فوقَ أيديهم » . « بيده المُلك »

وأنثوا من الآلات أحد عشر اسماً ، كالفأس والرحى والدرع ، لأنها تمنيهم على الانتاج والدفاع والقوة

وربما قال قائل : إن كل الأسماء التي ذكرتها خالية من علامات التأنيث ، وقد اعتبرها العرب مؤنثاً مجازياً . وأقول : هو ذاك ؛ هي مؤنثة باعتبار الفكرة التي كانت تدور في أذهانهم ، ومع ذلك فالعلامة ليست شرطاً في التفرقة بين المؤنث الحقيقي والمذكر . خذ مثلاً : الأب ، والأم . والحصان والفرس ، والحمار والأتان . وتجد أن الصفات التي اختص بها المؤنث لا تحتاج إلى علامة مثل : مرضع وحامل وحائض وعاقر ، وثيب وعانس . وذلك لأن فكرة التأنيث عند ذكر هذه الصفات والأسماء كانت حاضرة في مخيلتهم . ويذهب العلامة بروكلمان إلى أبعد من ذلك فيقول : لم تكن الحاجة ماسة في أول الأمر للتمييز بين المؤنث والمذكر بعلامة ، إذ كانت الطبيعة قد وضحت بينهما . وهذه الكلمات التي ذكرت آنفاً تعتبر من أقدم الكلمات في اللغات السامية(1) . ووضعت علامة التأنيث فيما بعد لما اعتبره الساميون مؤنثاً لتقوية

(1) أنظر كتاب العلامة Brockelmann وهو Précis de Lingaistique Semitique

الكلمة وتشديدها ، وزيادة تمييزها عن غيرها(1)

أما الأمور المنوية ، كالرحمة والقسوة ، والشفقة والبغضاء ، والبلواء ، والسعادة والبأساء ، فلأنها أمور دقيقة لم يستطع ذلك الانسان الفطري إدراك كنهها ، وإنما عرفها بآثارها الظاهرة المحسوسة ، فألحقها بالمؤنث ، ووضع لها العلامة لأن فكرة التأنيث بها ربما كانت غامضة ، أو ضعيفة فقواها

أما الجموع فأمرها هين ولا سيما جموع العقلاء ، مثل عامل وعملة ، وكاتب وكتبة ، وصبي وصبية ، وكرماء وأشداء وعظماء وأقوياء(2) ، إذ أن الجموع قوة تستطيع أن تفعل مالا يفعله الفرد

أما المصدر ففكرة مجردة ، ويقول العلامة « دلمان »(3) إن الفكرة المجردة يتصورها الانسان كقوى منتجة خالقة ، ولذلك جاء الكثير منها مؤنثاً .

ويمكنك أن تدرك الفكرة التي حدت بالساميين إلى تأنيث بعض الأسماء والصفات في تلك النعوت التي تدل على المبالغة وبلوغ النهاية مثل : راوية ونابغة ، وداهية ... الخ .

أما أمكنة الاقامة ، كالمدينة ، والقبة ، والدار ، فلاتصالها بالأرض ، وقد بينت في أول المقال كيف نظر الساميون إلى الأرض . وتسألني ما بال البيت مذكراً ؟ . نعم إن البيت مذكر ، ولكن أثراً من آثار صيغته الأصلية المؤنثة لا يزال موجوداً في اللغة الآشورية ، حيث يستعمل مذكراً تارة ومؤنثاً أخرى ، كأجزاء الأرض مثل الطريق ، والسبيل . ولعلك تتذكر أني بينت في المقال الأول كيف تخرج هذه الكلمات من المؤنث تدريجاً لضعف فكرة التأنيث فيها .

ولعلي أكون قد وفقت في توضيح هذه الفكرة التي حدت بالساميين لتأنيث بعض الأسماء وتذكير بعضها الآخر ، فالغرض من علامات التأنيث هو تقوية الكلمة ، والضغط عليها ، وإظهارها بمظهر الشدة ، لما ترمز إليه من المعنى القوى ، والأمر الخفي ذي الأثر والنفوذ والقدرة السحرية .

عمر الدسوقي

(1) نجد كثيراً من هذه الكلمات قد أخذت علامة التأنيث في اللغات السامية الأخرى غير العربية فمثلا : نفس بالآرامية نفسا وبالآشورية نفستو ؛ وأرض بالآرامية أرضى ، وبالآشورية ، إرضيتو

(2) راجع المقال السابق

(3) هاك النص الانجليزي لما يقوله الأستاذ Dillmann في كتابه قواعد اللغة الحبشية عند الكلام على المذكر والمؤنث ص ٢٧٢

In Lact pure ideas «Abstracts» are usually conceived of as procreative and productive powers, and there for ex pressed in the Feminine form

رسالة من باريس

بعض الدكاترة الفخريين

الذين منحوا الدكتوراه الفخرية في فرنسا هذا العام

للباحث الأديب مصطفى زيور

— ٢ —

إذا أضفنا إلى هذه المحاولات لتركيب المواد الزلالية وبالتالى المادة الحية من المواد اللاعضوية البسيطة ، إذا أضفنا إلى ذلك نتائج بحوث الكيميائي الكبير « لوب » التى أثبتت بطريقة لا تحتمل الشك العلمى أن المواد الزلالية لا تختلف فى قوانين تفاعلاتها الكيميائية عن قوانين تفاعلات المواد اللاعضوية ، وبعبارة أخرى أن المادة الزلالية لا تنفرد بكيمياء خاصة ، فانه يبدو لنا أن هؤلاء العلماء المنكبين على دراسة المادة الحية يتخذون فرضاً لعملهم وبحوثهم أن هذه المادة تخضع لنفس القوانين التى تخضع لها المواد الأخرى . وليس فى ذلك غرابة فان أى تقدير من جانبهم يختلف عن ذلك كأن تعتبر المادة الحية خاضعة لسلطان ميتافيزيقى يجعل موقفهم متناقضاً ، لأن البحث التجريبى لا يمكن أن يتناول إلا ما يقبل التجريب وبالتالى ما يخضع لقانون طبيعى

ولكن المسألة التى استرعت اهتمام سورنسن بنوع خاص هى من غير شك مسألة « مبلغ تركز ذرات الهيدروجين المكهربة » فى سائل بعينه، وأهمية ذلك بالنسبة للمظاهر الحية. ويجدر بى قبل أن أبين خطر هذه البحوث أن أقدم لها بكلمة قصيرة أبين فيها ما الذى يعنونه بمبلغ تركز ذرات الهيدروجين المكهربة أو جهد الهيدروجين المكهرب

لاحظ فراداى ، ذلك العبقرى الانجليزي أحد مؤسسى المنطيسية الكهربائية فى أوائل القرن التاسع عشر ، أننا إذا أحدثنا فرقاً فى الجهد الكهربائى بين قطبين منغمسين فى محلول ملح ما فاننا نرى تياراً كهربائياً يمر يصحبه انحلال الملح إلى أجزاء تحمل شحنة كهربائية بعضها موجب يوجهها إلى السير نحو القطب السالب ، وبعضها سالب يوجهها نحو القطب الموجب ، وهكذا يتكون لدينا تيار من هذه الأجزاء ناقل للشحنات الكهربائية أى لكمية الكهرباء . هذه الأجزاء المكهربة هى التى يسمونها منذ فراداى باللفظة اليونانية «أيون» أى سائرة ومتجهة . على أن « أرينيوس » بيّن فيما بعد أن انحلال الجسم الذائب فى سائل ما إلى أيون لا يحدث تحت تأثير مرور تيار كهربائى . بل إن هذا الانحلال يحدث لمجرد ذوبان الجسم فى السائل ؛ ذلك لأن ذرة كل جسم تتكون من نواة ذات شحنة موجبة يحيط بها كهيربات ذات شحنات سالبة يدعونها « ألكترون » تعادل الشحنة الموجبة فتصبح الذرة متعادلة لا هى موجبة ولا هى سالبة ؛ فاذا ما أذيب جسم فى سائل يضطرب هذا التعادل بأن تفقد الذرة كهيربا سالباً فتصبح موجبة أو تكسب كهيرباً سالباً فتصبح سالبة

فإذا أذبنا حامضا فى سائل ما، وليكن حامض الكلوريدريك المكون جزآه من ذرة من الكلور وذرة من الهيدروجين فإن بعض هذا الحامض ينحل إلى ذرات كلور ذات شحنة سالبة، وذرات هيدروجين ذات شحنة موجبة. ولكن ذرات الهيدروجين المكهربة هى التى تعين الحموضة ، فكلما كانت قابلية الحامض إلى الانحلال كبيرة، وبالتالى عدد أيون الهيدروجين المنتشرة فى السائل كبير، كانت درجة الحموضة كبيرة ، بصرف النظر عن كمية القلوى الذى يمكن أن يعادلها ذلك الحامض ، والتى تعين قوته الحامضية الكاملة . وكذلك الحال فى جسم قلوى مثل الصودا الكاوية المكون جزآها من ذرة صوديوم متحدة مع مركب يدعونه هيدروكسيل يتألف من ذرة هيدروجين وذرة أكسجين ، فاذا أذيبت الصودا الكاوية فى سائل فان جزءاً منها ينحل إلى ذرات صوديوم تحمل شحنة موجبة، وإلى عدد من الهيدروكسيل المذكور يحمل شحنة سالبة . وكما أن عدد ذرات الهيدروجين المكهربة هو الذى يعين درجة الحموضة الحالية ، فان عدد الهيدروكسيل المنتشر هو الذى يعين درجة القلوية الحالية

ولكن ظاهرة الانحلال هذه تحدث حتى بالنسبة للماء النقى ؛ فنحن نعلم أن جزئى الماء يتكون من ذرة أكسجين يرمز لها بالحرف (ا) ، (أى الحرف الأول من اكسجين) وذرتين هيدروجين يرمز لكل منهما فى العربية بذلك الرمز العجيب (يد)، (الحرفان الثانى والثالث من هيدروجين) . وهنا أحب أن يسمح لى القارئ أن أترك موضوعنا لحظة لكى أعلق على هذا الرمز الغريب ، فلست أشك أن المترجم المصرى عند ما أراد ترجمة الرمز

الدولى للهيدروجين H عند بدء النهضة العلمية الحديثة فى مصر منذ نحو ربع قرن ، ظن أن الكلمة هى إيدروجين بإبدال الهاء همزة كما يحصل فى النطق الفرنسى ، ويدل على ذلك ما جرى عليه الكيمائيون فى مصر من كتابة هذا العنصر على هذا النحو الأخير أى إيدروجين . ولما كان الحرف (ا) سبق أن اختاره المترجم المصرى رمزاً للعنصر اكسجين فلم يكن بد من اختيار الحرفين الثانى والثالث من ايدروجين بجعلهما رمزاً لهذا العنصر . ولكن الواقع أن الكلمة هى هيدروجين بصرف النظر عن نطقها فى بعض اللغات . والواجب إذن أن يتخذ الحرف (هـ) الذى يقابل H الدولية رمزاً لهذا العنصر إذا كان لا بد لنا من الاستمرار فيما درجنا عليه منذ نحو ربع قرن من نقل الرموز الدولية إلى رموز عربية . فماذا يرى عالمنا الكبير الدكتور احمد زكي ؟

رأينا أن جزئيات الماء التى تتكون من ذرة من الأكسجين وذرتين من الهيدروجين ومن ثم يرمزون لها يد٢ ا ينحل بعضها إلى ذرات هيدروجين موجبة يرمز لها هكذا يد+ وهيدروكسيل سالبة يرمز لها هكذا ا يد− ؛ ولكنه من الواضح أن أيون الهيدروجين الذى يحمل شحنة موجبة لا بد أن يتحد من جديد مع أيون الهيدروكسيل الذى يحمل شحنة سالبة فتتكون جزئيات مائية من جديد ، بينما تنحل جزئيات مائية أخرى إلى أيون هيدروجين وهيدروكسيل، وهكذا حتى تصبح سرعة التفاعل فى الناحيتين متعادلة ، فينتج لدينا حالة استقرار فى مبلغ تركيز الأيونات يمكن التعبير عنها بأن حاصل ضرب عدد الأيونات مقسوم على عدد الجزئيات الغير منحلة ينتج عدداً ثابتاً :

[يد+] × [ا يد−] / [يد ٢ ا] = ث (عدد ثابت يدل على حالة الانحلال وبالتالى يدل فى حالة حمض أو قاعدة على قوة الحمض أو القاعدة) .

ولكن فى حالة الماء فان الجزئيات الغير منحلة قليلة التغير وبالتالى فان حاصل ضرب [يد+] × [ا يد−] يكون ثابتاً ، وتقدر قيمته فى لتر من الماء بكسر اعتيادى مقامه الوحدة يتبعها أربعة عشر صفراً $\frac{1}{10^{14}}$ فاذا تصورنا الماء فى حالة التعادل التام أى أن أيون الهيدروجين يساوى عدد أيون الهيدروكسيل فان الرقم الذى يدل على تركيز أيون الهيدروجين يكون فى هذه الحالة $\frac{1}{10^{7}}$

ولتسهيل الاشارة إلى الحموضة الحالية أى لمبلغ تركيز اليون يد+ أو جهد الهيدروجين اقترح سورنسن أن يعبر عنه بمقلوب اللوغارتم العشرى أى بعدد الأصفار الذى يتبع الوحدة فى مقام الكسر الاعتيادى الدال على مبلغ التركيز أى بالعدد ٧ فى حالة التعادل ، وأن يرمز له بالحروف الدولية P H وهو ما يمكن ترجمته بالحروف العربية ج يد حيث أن P هو الحرف الأول من الكلمة Potentiel أى جهد (وليس القوة كما أشار بذلك البعض لأن لفظة القوة ترجمة فلسفية قديمة وتدل عند المشتغلين بالعلم فى مصر على محدث العمل) . كما كان لسورنسن الفضل فى استنباط طريقة لقياس درجة الحموضة هذه بواسطة تفاعلات ملونة

أهمية مبلغ تركيز ذرات الهيدروجين المكهربة أو جهد الهيدروجين ج يد فى المظاهر الحية

قد لا يكون من المبالغة أن تقرر أنه ما من ظاهرة من ظواهر الحياة لا تخضع لهذا العامل الأساسى : مقدار الحموضة الحالية أى ج يد ؛ فقد تبين أن الكائنات الحية حتى الدنيئة منها مثل الجراثيم لا يمكن أن تعيش إلا فى وسط له درجة حموضة معينة خاصة بكل نوع من أنواع الكائنات لا يجب أن تتغير وإلا فقدت الحياة . ويكفى أن أشير إلى أن درجة الحموضة فى دم الانسان ثابتة ثباتاً يسترعى النظر حقاً ، وتعمل على هذا الثبات وظائف لها من الدقة والانتظام مايدل على خطورة مقدار الحموضة الحالية فى بقاء الحياة . وتبدو هذه الخطورة بوضوح إذا علمنا أن تلك الصدمات العنيفة المصحوبة بهبوط شديد فى ضغط الدم والحرارة وضربات القلب بحيث يصبح الموت قاب قوسين أو أدنى ، والتى تحدث من إدخال بعض المواد الغريبة فى الدم أو نتيجة لبعض الأمراض ، هذه الصدمات يصحبها تغير فى درجة الحموضة المذكورة

وهنا يجب أن أشير إلى ما يدعونه نقطة التساوى الكهربائى فى الزلاليات حتى يتم لنا هذا العرض السريع لمسألة الحموضة وأهميتها البيولوجية

سبق أن ذكرت أن المواد الزلالية تتركب من أحماض أمينية تحتوى جنباً إلى جنب على وظيفة حمضية ووظيفة قلوية ؛ وعلى ذلك من السهل أن نفهم أن المواد الزلالية تنحل فتترك ذرات هيدروجين موجبة من جهة كما يحدث فى الأحماض ، وهيدروكسيل سالبة من جهة أخرى كما يحدث فى القلويات .

فاذا ما كانت درجة الحموضة أهمية جديد في الوسط الموجودة فيه هذه المواد الزلالية كبيرة فإن هذه المواد تسلك كما لو كانت قلوية فقط فلا تنحل إلا إلى أيونات سيدروكسيل (أو على الأقل فان النتيجة العملية هي كذلك) ؛ وبالعكس فيما لو كانت درجة حموضة الوسط قليلة أي قلوية ؛ وبين هذين الطرفين توجد نقطة في درجة الحموضة تنحل عندها الزلاليات إلى مقدار متساو من أيون الهيدروجين وأيون الهيدروكسيل ، فيحدث نوع من التساوى الكهربائي يمكن أن نرمز له بـ جيدس (س = الحرف الأول من الفعل الماضي أصل الاشتقاق ساوي)

والآن من السهل أن نفهم أهمية نقطة التساوى هذه إذا تذكرنا أن العامل الرئيسي في ثبات المحلولات الغروية هو وجود شحنة كهربائية تمنع الجزيئات من التهالك ، ولما كانت هذه الشحنات الكهربائية تنحط إلى مقدار ضعيف عند نقطة التساوى ونتيجة لهذا التساوى ، فيمكننا أن نتنبأ بقلة ثبات المحلولات الغروية وبالتالي المادة الحية وسيرها إلى الانهيار عند هذه النقطة . وهذا ما يحدث بالفعل ويوضح لنا أهمية درجة الحموضة جيد والخطر الذي ينتج من تغيرها على مظاهر الحياة .

وأخيراً فان الفضل يرجع إلى سورنسن في بيان أهمية درجة الحموضة بالنسبة للتفاعلات الخميرية ، فقد بين كيف أن الخمائر — وهي تلك المواد الخاصة بالكائنات الحية تساعدها على تحقيق التفاعلات الكيمائية — لا تقوم بعملها إلا في درجة حموضة معينة خاصة بكل خميرة ؛ فنحن نعلم مثلا أن خمائر المعدة لا تقوم بعملها في الهضم إلا في درجة حموضة معينة مرتفعة بالنسبة لدرجة الحموضة اللازمة لخمائر الأمعاء .

وفي النهاية لست أحب أن أترك القارىء يفهم أن جميع المسائل التي ذكرتها ومحصولنا العلمي فيها يرجع إلى أبحاث سورنسن وحده ، فاني أكون إذن تعديت الأمانة التاريخية ؛ ولكنه لم يكن في استطاعتي أن أبين قيمة أبحاثه دون أن أذكر بجانبها الأبحاث التي أثارها ، ثم الأبحاث التي سبقته حتى نقدر مجهود هذا الكيميائي الكبير . وبعد كل شيء فاني لم أقصد إلى تحقيق تاريخي فليس هنا مقام ذلك ، ولكني قصدت إلى اتخاذ بحوث هذا العالم مناسبة للاشارة إلى بعض التيارات العلمية السائدة . « للكلام بقية »

مصطفى نبوي

أتـــوق

لشاعر الهند رابندرانات طاغور

بقلم الآنسة الفاضلة « الزهرة »

أتوق إلى مخاطبتك بأدق الكلمات وأملأها بالمعاني العميقة التي تجيش في حناياملبي، ولكني لا أجرؤ خشاة أن تضحكي مني

لذلك أضحك من نفسي ، وأشجب سري الخفيّ بالهزل والتنادر ، وأذيعه في شظايا النكات والاشارات

وأستخف بألمي لكيلا تستهيني أنت به

أتوق إلى مصارحتك بأصدق الكلمات ، ولكني لا أجرؤ خشاة ألا تصدقيها ...

لذلك أطويها في رداء التمويه ، وأضفي عليها أبراد الكذب ، وأقول عكس ما أبطن ، وأجعل ألمي يبدو بلا سبب ولا علة لكيلا ترى أنت فيه هذا الرأي

أتوق إلى صوغ أثمن الكلمات التي أدخرها لأجلك ، ولكني لا أجرؤ خشاة أن تبخسيها حقها وتصفقيني صفقة الغبن والخسران

لذلك أنتحل لك صفات فظة ، وأطلق عليك أسماء غليظة ، وأتبجح بقسوتي وصلابتي ، وأباهي بقوتي وأيدي ، وأنالك بالأذى ، خشاة ألا تفقهي للألم معنى أو تذوقي لمرارته طعماً

أتوق إلى الجلوس قربك صامتاً ، ولكني لا أجرؤ لئلا يقفز قلبي من بين شفتي ويتراءى تحت قدميك

لذلك أثرثر وأهذر وأتنادر لكي أخفي سر قلبي وراء ألفاظي ، وأتلاعب بألمي في عنف دون هوادة ولا رفق خشاة أن تتلاعبي أنت به ...

أتوق إلى الابتعاد عنك ، ولكني لا أستطيع أن أجد إلى الفرار منك سبيلا ، لئلا ينكشف أمامك جبني ، ويستعلن لك خوفي ووجلي ...

لذلك أرفع رأسي بافتخار ، وأشمخ أنفي في شمم ، وأمثل أمامك غير حافل ولا مبال . مع أن السهام المنطلقة من عينيك على الولاء تجدد ألمي باستمرار ...

(الزهرة)

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم ......

— ٢٩ —

وكان لهذا القائد الذى بزغ نجمه شبه كبير بالرئيس فى نشأته وفى كثير من طباعه ، كلاهما واجه الحياة وهو فى سن اللهو واللعب ، وكلاهما شق طريقه فيها بنفسه فكان كالنبتة القوية المستقيمة التى تفلق التربة وهي بعد صغيرة ، لا كتلك الألفاف الملتوية التى لا تعرف من معنى النماء إلا أن تتسلق على غيرها وهى فى ذاتها هزيلة محيلة ...

كان جرانت كأبراهام قوة إرادة ومضاء عزيمة ، وكان مثله يلم بما حوله من المشكلات إلماماً تاماً ويستوعب أجزاءها لا تفوته منها صغيرة ولا تستعصى عليه كبيرة ، كما كان يعرف فى كل موقف قدر نفسه لا يغتر ولا يزهى ولا يتضاءل ولا ينكص .. وهو وإن لم تكن له سماحة الرئيس وعذوبة روحه ، فقد توفر له الكثير من بساطته ووداعته ...

كان جندياً فى سنى يفاعته، ثم انصرف عن الجندية إلى الزراعة حيناً ثم إلى التجارة بعد ذلك ، وظل بضع سنين حائراً يضرب فى الأرض فى طلب الرزق. ولو لم تقم تلك الحرب الأهلية لما وعى التاريخ عنه إلا بقدر ما يعى عن الآلاف غيره من البشر الذين يعبرون هذا الوجود وكأن لم يخلقوا !

وأحس لنكولن أن فى هذا الرجل من الصفات ما يعد متمما لصفاته ، فهو متحمس سريع المضى إلى غايته إذا اتجه همه إلى أمر؛ وهذه الحمية يقابلها عند الرئيس الروية قبل البدء، والتمهل إذا مضى فى سيره ...

هذا هو القائد الذى أحس ابراهام أن سوف يكون على يديه النصر بعد تلك الهزائم الشائنة ، وبعد أن خذلته الظروف ، وتنكر له الرجال وضايقوه على صورة لم يكن يطيقها غيره ...

أراد الجنوبيون أن يقوموا بهجوم قوى على العاصمة الشمالية فيضربوا الاتحاد الضربة الحاسمة ، فزحف قائدهم الكبير لى بجيشه فعبر نهر بوتوماك وسار حتى أصبح على بعد خمسين ميلا أو نحوها من وشنجطون فى مكان يدعى جتسبرج ، وهناك التقى به جيش الشماليين بقيادة ميد وهو قائد جديد جعله لنكولن على رأس جيش البوتوماك بعد أن ضاق بتلكؤ سلفه

ودارت فى هذا المكان معركة عنيفة دامت ثلاثة أيام ، وقد استبسل الفريقان فيها واستقتلوا وتوالى بينهما الجزر والمد ، وكأنما طاب لهم الموت فتسابقوا إليه جماعات ، وانتهى الصراع بانسحاب لى ولكن فى ثبات واطمئنان . فكانت هذه المعركة التى سقط فيها أكثر من عشرين ألفاً من الضحايا فاتحة الانتصارات الكبيرة لأهل الشمال . وما أن وصلت أنباؤها إلى العاصمة حتى تدفق الناس إلى حيث يجلس الرئيس وهم من فرط ما قد سرهم من النبأ لا يدرون ماذا يفعلون للتعبير عما فى نفوسهم نحو رجائهم، نحو هذا الحصن الحصين وهذا العتاد المتين

وكان هذا النصر الباهر فى اليوم الثالث من يوليو عام ١٨٦٣ ولقد نام الرئيس ليلته ملء جفونه لأول مرة منذ قامت الحرب ، وفى اليوم التالى حمل إليه البرق رسالة من القائد جرانت ، وكانت له القيادة فى الغرب على ضفاف المسيسبى ... وفض الرئيس الرسالة فاذا جرانت ينبئه أن قد سقطت فى يده فكسبرج ... وكانت هذه المدينة تسمى « جبل طارق » الغرب ، إذ كانت مفتاح النهر إلى الجنوب. ولقد جمع فيها أهل الجنوب ما استطاعوا من قوة وعدة ؛ وكان جرانت قد اتجه إليها منذ فاتحة ذلك العام ، وكان هو وجنوده يلقون النار الحامية من المدافعين عنها ، ولكنه لم يعبأ بما كان باق ، ولبث يعمل فى صمت وهدوء حتى أحكم الخطة فأحاط بالمدينة ، وأتى حاميتها من فوقهم ومن أسفل منهم وما زال بهم حتى أجبروا على التسليم تاركين فى يده ثلاثين ألفا من الأسرى وعدداً هائلاً من البنادق والأسلحة ومقدارا كبيرا من المؤونة والزاد ...

ولا تسل عما فاض فى العاصمة الشمالية من مظاهر الجذل والحبور ؛ فلقد شعر الناس بقرب انكشاف الغمة والتمعت فى غمائهم بوارق الأمل فى النصر النهائى بعد هذا العذاب الشديد ...

واشتدت العزائم ورأى المستضعفون والذين استكبروا ما كانوا قبل فى عمى عنه ؛ رأوا فضل رئيسهم وعاقبة ثباته وصبره ، فراحوا يتوبون إليه ويهنئونه بما صبر ...

والرئيس يشارك القوم جذلهم ، ولكن نشوة النصر لا تصرف عينيه عما هو فيه ، كالربان الماهر الحاذق ، لن يدير عينيه عن البحر إذا هو اجتاز مكانا تتجمع فيه الصخور ، ولن يزال محدقا متيقظا حتى تلقى السفينة مراسيها ...

وكان فى نفس الرئيس شئ يكاد يكربه فينسيه فرحة النصر ، وذلك أن ميد قد وقف فلم يتعقب لى ويجهز على جيشه لدى انسحابه ، فلقد كان عليه أن يعبر النهر ليعود إلى ولاية فرجينيا ، وعبور النهر ليس بالأمر الهين على جيش ينسحب ؛ ولكن ميد كان يرى الجيش فى حالة من الاعياء لايستطيع معها أن يقوده إلى أى زحف مهما هان أمره ، فلقد جاء نصره بشق الأنفس .. وأحس القائد المنتصر الحرج من موقف الرئيس حياله فطلب إليه أن يعفيه من القيادة ، فرد عليه الرئيس ملاطفا فى صفح يشبه الاعتذار

وكأنما جاء انتصار الشماليين فى المعركتين فى تلك الأيام على قدر من الظروف ، فلقد كانت تأتى الأنباء من خارج أمريكا بسوء موقف الحكومة الانجليزية من قضية أهل الشمال ؛ تلك الحكومة التى كان يعتقد لنكولن أنها سوف تحمد له قضاءه على العبودية فأعلن قرار التحرير وفى نفسه هذا الرجاء ؛ ولشد ما آلمه بعدها أن يرى الحكومة تتذبذب وتلتوى ولا تخطو إلا على هدى من مصالحها المادية

وكان مما يخفف وقع هذا الجحود على نفس الرئيس ما كانت تأتى به الأنباء من موقف أحرار الشمائل من الشعب الانجليزى حياله ، فلقد علم أن اجتماعات عقدت فى ما نشستر ولندن هتف فيها باسم الرئيس هتافاً عالياً حتى لقد وقف الناس فى أحدها دقائق يلوحون بقبعاتهم فى الهواء عند ذكر اسمه ؛ وظل هذا موقف الأحرار فى الشعب الانجليزى حتى وصلت إليهم الأنباء بالانتصار السالف الذكر فاستخذى الطامعون وذوو الأغراض من رجال الحكومة والبرلمان ، هؤلاء الذين كانوا يريدون أن يتخذوا من انتصار الجنوبيين ذريعة لاعلان اعترافهم بهم كأمة مستقلة ، والذين بلغ بهم الحقد على لنكولن وحكومته أن جهزوا سفناً لمناوأة تجارة الشماليين فى المحيط وأرسلوا بعضها فعلا لهذا الغرض

تلك هى نتائج الانتصار فى المعركتين وأثره فى الداخل والخارج .. قال لنكولن عند ما قرأ رسالة جرانت : « الآن يستطيع أبو المياه أن يذهب من جديد إلى البحر وليس فى سبيله عائق » ..

واجتمع الناس فى حفل كبير فى مكان معركة جتسبرج ليمجدوا ذكرى ضحاياها وطلبوا إلى الرئيس أن يخطبهم فى هذا الحفل المشهود فكان مما قاله : « منذ سبعة وثمانين عاماً أقام آباؤنا فى هذه القارة أمة جديدة ، نشأت على الحرية وعلى ما نودى به من أن الناس خلقوا جميعاً على سواء ، ونحن الآن فى حرب أهلية هى بمثابة اختبار لنرى هل تستطيع هذه الأمة أو أية أمة نشأت نشأتها أن تعيش طويلا ... ونحن نجتمع هنا لنخلد موضعاً منها نجعله مقراً نهائياً لهؤلاء الذين بذلوا أرواحهم كى تستطيع أمتهم أن تعيش ؛ وهذا عمل مناسب ولائق بنا ، ولكنا لن نستطيع فى معنى أوسع أن نخلد أو نقدس هذه البقعة ... إن البواسل من الرجال سواء فى ذلك الأحياء والأموات الذين ناضلوا هنا قد خلدوها أكثر مما تستطيع قوتنا أن تزيد عليها أو تنقص منها ، وإن العالم سوف لايهتم كثيراً وسوف لا يتذكر طويلا ما نقول هنا ولكنه لا يستطيع أن ينسى ما فعل هؤلاء » ... ثم زاد على ذلك فقال « يجب أن نصمم على ألا ندع موت هؤلاء يذهب عبثاً وعلى أن تمطى هذه الأمة فى عناية الله مولداً جديداً هو مولد الحرية ، وعلى أن تكون حكومة الشعب التى قامت بالشعب وللشعب ، بحيث لا تزول أبداً من فوق الأرض »

هذا هو خطاب الرئيس الذى سمعه الناس فى تلك البقعة التى صبغتها دماء المجاهدين . ولقد وصلت كلماتها إلى أعماق نفوسهم فهزتها هزاً لم يتمالك معه الكثيرون أن يحبسوا دموعهم من فرط ما أحسوا من المعاني ...

وآمن كثير من دعاة الهزيمة والتردد بما كان لثبات الرئيس من فضل ، وأيقنوا أن سوف يكون مرد انتصارهم فى النهاية إلى هذا الذى يحمل أثقال قومه فلا ينوء بها ولا يزداد على المحن إلا صلابة واعتزاما .

ولاحظ عليه المتصلون به أن تلك الشدائد وإن لم تنل من عزمه ، قد نالت من جسده ، ورأوا السنديانة يمشى إليها الذبول شيئا فشيئا حتى ليخافوا أن تذوى فتسقط — أجل فزع الناس أن يروا إرهاقا تتجمع وتتزايد فى وجهه التجاعيد وهو من صدر

شبابه لم يك خلوا منهـا ، وأن يلمحوا فى صفحة هذا الوجه المحبوب أمارات الجهد ، وفى نظرات تلك العينين الواسعتين أثر السهد وطول العناء ...

ولكن روحه أقوى وأعظم من أن يتطرق إليها الوهن ، أو أن تتأثر بشيء مما يصيب جسده ... أليسوا إذا جلسوا إليه لا يزالون يستمتعون بأحاديثه العذبة ونكاته المطربة الظريفة ؟ أوليسوا يسمعون حتى فى تلك الأيام ضحكاته التى قد يطلقها أحيانا فتذهب فى أرجاء الحجرة مجلجلة مدوية ؟ ذهب إليه أحد الرجال فى أمر من الأمور الهامة فأخـذ الرئيس يقص عليه من قصصه حتى لم يطق الرجل صبرا فقال وفى لهجته حدة وفى عبارته شدة: « أيها الزعيم إنى ما جئت هنا هذا الصباح لأسمع قصصا .. إن الوقت عصيب» . فاستمع إلى الرئيس يقول له فى رزانة وأدب « اجلس ياأشلى، إنى أحترمك كرجل مخلص ذى حمية ، وإنك لن يبلغ اهتمامك أكثر مما بلغ اهتمامى هذا الذي ما فارقنى منذ أن بدأت تلك الحرب ، وإنى أقول لك الآن إنه لولا هذا الذى نفس به أحيانا عن نفسى لحاق بي الموت »

ومن أولى من هـذا الرجل وأحق أن ينفس عن صدره فى هذه الشدائد المتلاحقة ؟ هذا إلى أنه فيما يفعل إنما يصـدر عن طبيعة لا قبل له بالتخلص منها . ولقد كان مما يستعين به فى ضيقه أن يقرأ ، وكانت مآسى شكسبير وفى طليعتها ما كبث ما يتناوله من الـكتب . وإنه يفرح ويهش لمن يشاركه عواطفه وميوله كما أنه كان يضيق بالمتزمتين الذين يزيدون الحياة بتبرمهم وسخطهم أثقالا فوق أثقالهم ..

وسار العام الثالث إلى نهايته والبلاد يتزايد أملها فى النجاح بعد أن كاد يعصف اليأس بالقضية كلها فيأتى عليها ، فلقد رأينا ما كان من دعاة أعداء الحرب وعملهم على عرقلة مساعى الرئيس ومن هؤلاء ولدنجهام الذى مر بنا ذكره ... وهنا نشير إلى رجل آخر هو حاكم ولاية نيويورك ، فلقد كان هذا الرجل من أكبر المنادين بضرورة وضع حد لهذه الحرب أن كان لا يصيب الشماليين منها إلا الهزائم ... ولقـد أدت سياسته إلى قيام ثورة عنيفة فى مدينة نيويورك قام فيها المشاغبون ودعاة الفوضى بأعمال عنيفة ، وبالغوا فى تمردهم وعصيانهم ، حتى اضطرت الحكومة أن ترسل عليهم فريقاً من الجند يقضون على الفتنة . ومن غريب أمر هؤلاء المتمردين أن قامت حركتهم التى دبروها من قبل عقب الانتصار فى جتسبرج وفكسبرج ، وسبب عصيانهم يرجع إلى قرار أصدره المجلس التشريعى فى مستهل ذلك العام بناء على اقتراح الرئيس يحتم على كل رجل صحيح البدن بين العشرين والخامسة والأربعين أن يحمل السلاح فى سبيل قضية الاتحاد ... ولقد كانت حركة نيويورك هذه من مآسى ذلك العام، ولولا أن جاء النصر وأشرق نور الأمل فى ظلام اليأس لكان من الجائز أن تمتد الفتنة فتأتى على كل شيء

وافتتح العام الرابع والأحزاب تتأهب للانتخاب ، فلقد قرب موعد الانتخاب للرياسة ، ورأى المخالفون الفرصة توانيهم ليعلنوا ما فى نفوسهم نحو الرئيس لنكولن وسياسة حكومته

وظهرت فى الصحف وتواترت على الألسن أسماء مرشحين جـدد لينافسوا الرئيس ؛ فان الديمقراطيين كانوا يقدمون ما كليلان ، ذلك الذى انسحب من الحرب على نحو ما رأينا ؛ وكان بعض الجمهوريين، وعلى رأسهم جريلي، ذلك الذى ما فتىء ينتقد الرئيس ويسدى له النصح ، يرشحون جرانت وتشيس وزير المالية ، وفريق منهم رشحوا فريمونت لهذا المركز السامى

ولبث الرئيس مطمئناً ساكناً إن خاف على شيء فليس خوفه على كرسى الرياسة ، ومتى ذاق طعم الراحة فى ذلك الكرسى ؟ وإنما كان يخشى أن يترك قيادة السفينة لربان غيره وهى لما تزل فى طريقها ، ولو أنه كان موقنا أنه يوجد غيره يقودها كما يقود هو لما تردد أن يعطيها له ، فحسبه أن تصل إلى المرفأ ... وكثيراً ما كان يقول : إنه لو وجـد فى الرجال من يحسن إدارة الأمور خيراً منه لتنازل له عن طيب خاطر بل لقبل ذلك مبتهجاً إذ يرى فيه وسيلة من وسائل النجاح

على أنه يترك الأمر للبلاد فهى صاحبة القول الفصل ، قال فى تلك الأيام لبعض جلسائه : « إن انتخابى للرياسة مرة ثانية إنما هو شرف عظيم كما أنه عبء عظيم ، وإني لن أجفل منهما إذا قدر لى ذلك ...

ولكن البلاد لم تبغ من رجلها بديلا ، وما لبث أن أدرك مخالفوه أنهم كانوا واهمين ، وكيف تتخلى البلاد عن ذلك الذى

تدين بنجاحها له ؟ ولماذا ينصرف عنه الناس ومكانته عندهم فى صميم قلوبهم ؟ لأنه أبلى فأحسن البلاء ، وصبر فاجتنى من الصبر الظفر ، وسهر فلم يشك يوماً من السهر ؟ ... لقد كان الناس يدعونه فى تلك الأيام بقولهم : « أبونا إبراهام » وكانوا يخاطبونه فيقولون : يا أبانا ماذا ترى فى كيت وكيت ، وما كان أحلى هذا اللقب يضاف إلى ألقابه ...

ألا إن الناس ليحرصون على « أبيهم » لا تدور أعينهم إلى غيره ولا تتسع قلوبهم لسواه ؛ فها هى ذى العرائض بترشيحه تترى على الحزب من أنحاء البلاد ومن ميادين القتال فى كثرة عظيمة تليق بجلال قدره وخطورة شأنه وجليل ما قدمت يداه...

وندع الآن ذلك لنعود إلى الحرب وشؤونها ؛ وأول ما نذكره أن الرئيس قد اتفق مع المجلس التشريعى على إسناد القيادة العليا للجيوش جميعاً إلى القائد جرانت.. ثم كتب إلى جرانت يدعوه إلى إلى العاصمة فحضر إليها ، وذهب إلى البيت الأبيض فلقى الرئيس وسمع منه عبارات الاطراء والثناء ثم تلقى منه نبأ تعيينه فى منصبه الخطير .

ولقد تزاحم الناس وتدافعوا بالمناكب حول البيت الأبيض وفى قاعاته ليروا هذا القائد الذى تعلق عليه بعد زعيمهم الآمال... ولقد علق جرانت على هذا اللقاء العظيم بقوله « هذه معركة أشد حراً مما شهدت فى الميادين من المعارك .. »

وبعد أن درس القائد خططه المقبلة مع الزعيم ورجاله ، استأذن فى الرحيل فطلب إليه الرئيس أن يبقى قليلا ليحضر وليمة أعدتها زوجه تكريماً للقائد ولم يكن يعلم بها من قبل ليدعوه إليها فاعتذر شاكراً من عدم قبوله بقوله « حسبى ما لاقيته من تلك المظاهر أيها الزعيم ... » وفرح الزعيم أن يسمع ذلك من القائد وهل يهدم الرجال إلا الغرور وحب المظاهر الفارغة ؟

ورحل جرانت إلى الميدان وقد زوده الرئيس بقوله « أنت رجل همة وعزيمة ، وأنا لا أريد وقد سرنى ذلك أن أضع فى طريقك ما عساه أن يعوقك ، وإذا كان فى طاقتى أى شىء يمكنى أن أمدك به فدعنى أعرف ذلك ... والآن سر فى عون الله على رأس جيش باسل وفى سبيل قضية عادلة »

« التتمة فى العدد القادم » **الخفيف**

فى الأدب العراقى

ديوان الشبيبى العتيد

للاستاذ الحومانى

فى الكرادة من ضواحى بغداد وعلى شاطئ دجلة بيت متواضع يسكنه الشاعر العراقى الكبير الشيخ (محمد رضا الشبيبى) وزير معارف العراق

هو فى منتهى دور الكهولة ويوشك أن ينهد إلى الخمسين ، يعمل عقله فيما يجيب أو يقترح ، تتخلل جمله فى القول فترات تنم على ذلك ، رزين كل الرزانة وهو يحدث ، ويميل فى شعره إلى الاصلاح الأخلاقى فى المجتمع . لا يحب أن يجامل ولا أن يظهر أمام زائره بمظهر العز المكسوب ، يزيد التألم خديه وما أحدق بعينيه — وهو يتكلم — تجعداً يبدو لك من ورائه ومن خلال ابتساماته الضئيلة سر عميق فى نفسه يمثله البؤس والشقاء مما يكابد فى قومه . وإذا لم يرقه حديث جلسائه ولم يستطع مغادرة المجلس تشاغل بمطالعة الصحف ، وقد يشيح بوجهه وهو يتكلم كأنما قد ذكر أمراً قد أنسيه ، ثم يمعن فى التشاغل عنك حتى إذا لفته إليك أدب المجالسة عاد مقبلا عليك تقرأ فى وجهه الاعتذار لك . لا يستقر به المجلس أكثر من بضع دقائق ، وإذا لفته الزهر الحدق بالمجلس رأيته على ما فيه من رزانة يستخفه النظر فيهم فى الروض مع نسيم دجلة البليل

* * *

الروح الشاعرة إما أن يربيها الألم فينشأ صاحبها متشائماً قليل الحظ من متع الحياة، فلا تراه فى شعره غير شاك أو متألم؛ وإما أن تربيها اللذة فينشأ صاحبها متفائلا لا يعرف وجهاً للألم فى الحياة

وقد تربى الروح الأولى فى النفس نقمة على المجتمع واستمداداً للانتقام منه ، كما قد تربى الروح الثانية فى نفس الشاعر النكتة فى الأدب والاستسلام للشهوات

وقد يتعزى الشاعر المتألم بلهو أو مقهى كما قد يثوب أخوه الغاوى ويرعوى عن غيه فيلهمان معاً جمال الشعر النفسى فى معرض الآلام ، على أن الأول أكثر تألماً لما يستقبل ، والثانى أمضى ألماً على ما خلف

يعجبني من النوع الأول شعر العلامة الشبيبي يقول :

هي الرسائل والأشعار والخطب ... هَمٌّ عليَّ ثقيل هذه الكتب
إحدى العجائب عداً أن يثقفنا ... قوم ثقافتهم في أرضنا عجب
من معدن الشر ماسنوا وما شرعوا
ومن معانيه ما خطوا وما كتبوا

في كلماته هذه صورة بالغة في الألم النفسي . وأمض ما يؤلم الشاعر الحر أن يرى الحق مهجوراً والباطل يعمل به ، وآلم لديه من ذلك أن يرى ذا الباطل يتولى الحكم في الناس على أنه محق ثم يعاقب المحق على أنه مبطل

يرى الشاعر الحر كل ذلك ثم يرى بعده أن المجتمع راض عن هذه الحكومة ، أو يتجرعها على مضض وهو يستطيع أن يلفظها ، فلا يلبث شاعر الانسانية أن يقذف بركانه حجراً تفيض به نفسه شعراً

شر العصور وفي العصور تفاوتٌ ... عصر به تتقــدم الأوغاد
أنظر إلى الاعجاز كيف تصدرت ... وعمائم السادات كيف تُساد

ثم هو يقول وقد غادر وطنه العراق إلى دمشق تحن إلى الكرخ أحد أحياء بغداد :

ببغداد أشتاق الشآم وها أنا ... إلى الكرخ من بغداد جم التشوق
هما وطن فرد وقد فرقوهما ... رمى الله بالتشتيت شمل المفرق

ويقول في التمدن العصري مشيراً إلى الغرب :

يعيش سعيد مفرد بين معشر ... شقي وحيٌّ واحد بين أموات
وكم جسد فوق الأخادع شاخص ... إلى جثة تحت الأخامص ملقاة
وما الزمن الماضي بأعظم محنة ... من الحاضر الموصول بالزمن الآتي
يظنون هذا العصر عصر هداية ... وأجدر أن ندعوه عصر ضلالات
فان خرافات مضت قد تبدلت ... حقائق إلا أنهـا كالخرافات

تلك هي نفثات شاعر المجتمع ينظر إلى أمة بعين ملؤها الحنان وقد ضغطها ظلم القوى فأهابت بشاعرها وهو مغلول اليد فأطلق فكره من عقال الوهم والخيال ، ثم أجالها فيما يقمع الظلم ويتمشى معه إلى إصلاح شعبه . ألم تره وقد لاح له بارق أمل يتلمس في أمته روح النهضة من ورائه ، يثير الهمم ويشحذ العزائم حيث يقول :

نفد الصــبر فهبت فزعاً ... وأبى السيف لها أن تضرعا
أمة خرساء كم واش وشى ... بنواديها وكم ساع سعى
أزمعت ألا يراها حملا ... غاصب صــال عليها سبعا

إلى أن قال :

صلة الشرق بالماضي ارجعي ... لا تعودي سنداً منقطعا
جــددي عهد على غزياً ... وأعيــدي مالكا والنخعا

ربما وقفت من الشاعر على بيت واحد علمك أنه شاعر ، فلا أريد أن أشير لك إلى هذه القطع وما فيها من روح فياضة بالألم الممض مما يسمع ويرى ، ولا أن أقول لك إن الروح الفياضة بالحزن أدق شعوراً بالحياة من الروح الفياضة بالسرور ، وقد عرضت لاثبات ذلك مراراً مرت بك . اجل ، ولا أريد أن أرجع بك في إثبات الشاعرية لهــذا المصلح العراقي الكبير ، إلى ما في هذه الأبيات من دقائق وقفت بالشعور الحي أن يتجاوزها إلى ماتسمع كثيراً وتقرأ كثيراً من شعرائنا الخنع في عصر النهضة .

وإنمــا أريد أن تعود معي إلى تصفح هذه القطع مرة ثانية لأسألك عمــا تشعر وأنت تقرأ عجز المطلع الأول : همٌّ عليَّ ثقيل هذه الكتب . وعمــا يخلقه في نفسك حنينه وهو في الشام إلى الكرخ من بغداد ؟ ثم إلى ماذا يصل بك عبث الخيال وما يأتيه من فن ؟

قد يحسب العقل الواهم أن الشاعر قلما يعمل الخيال فيما تثور معه العاطفة من شعر ، وكثيرا ما يقولون : إذا ثارت العاطفة كان الشعر ، غالباً ، خلواً من الابداع في الفن

أما إن عنوا بذلك خلوه من الفن اللفظي فأنا معهم ، لأن توجيه الفكر إلى صناعة اللفظ يحول دون فيضان الروح بما تتأثر به من مشهد يثير فيها عاطفة ما ، وإذا تأثرت الروح فليس للعاطفة أن تمهل الفكر في إعمال الخيال ، ضرورة أن الابداع فعل ، وثورة النفس انفعال يجيش بركانه في الصدر فيقذف حممه

وأما أن يريدوا خلوه من الابداع في الفن من حيث تناوله اللفظ والمعنى معاً أو المعنى فقط فلا أراني على وفاق تام معهم لــما سمعت من قوله «شر العصور الخ» إلى ماجاء في القطعتين الأخيرتين فقد يبرهن لك عن اجتماع الخيال مع العاطفة فيخرج الشعر خالد الفن بين خيال يبدع وعاطفة تثور

هذه كلمة نسوقها تمهيدا لهذا الشعر الخالد من الشعر العبقري قبل أن يخرج ولما يزل تحت الطابع؛ وسوف نمززها بكلمات بعد خروجه تكشف عن كثير من أسرار هــذا الشاعر العبقري المعجز في عالم الفن

الحوماني
نزيل بغداد

النارنجة الذابلة في الربيع

لفقيد الشباب والأدب المرحوم محمد الهمشري

كانت لنا عند السياج شجيرة ... ألف الغناء بظلها الزرزور
طفق الربيع يزورها متخفياً ... فيفيض منها في الحديقة نور
حتى إذا حل الصباح تنفست ... فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى إلى أرض الحديقة كلها ... نبأ الربيع وركبه المسحور

كانت لنا ... يا ليتها دامت لنا ! ... أو دام يهتف فوقها الزرزور

قد كنت أجلس صوبها في شرفتي ... أو كنت أجلس تحتها في ظلتي
أو كنت أرقب في الضحى زرزورها
متهللا يغشى نوافذ حجرتي
طوراً ينقر في الزجاج وتارة ... يسمو يزرزر في وكار سقيفتي
فإذا رآني طار في أغرودة ... بيضاء واستوفى غصون شجيرتي
فمتى يؤوب هتافه ؟ ومتى أرى ... نوارك الثلجي يا نارنجتي ؟!
ومتى أطير إليك ... ترقص مهجتي
فرحاً ... وآخذ مجلسي من شرفتي ؟!

هيهات لن أنسى بظلك مجلسي ... وأنا أراعي الأفق نصف مغمض
خنقت جفوني ذكريات حلوة ... من عطرك القمري والنغم الوضي
فانساب منك على كليل مشاعري ... ينبوع لحن في الخيال مفضض
وهفت عليك الروح من وادي الأسى
لتعب من خمر الأريج الأبيض

هيهات ... لن أنسى ضحى (سبتمبر)
والنحل يغشى نورك المتلألي
ومساء مارس كيف يهبط تلة ... شفقية ... ممدودة الأظلال
نزل الحديقة تحت أرهام الندى ... وهفا عليك معطر الأذيال
فهناك كم ذهبية شفقت بها ... روحي فتاهت في مروج خيال

وهنا تحركت الشجيرة في أسى ... وبكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبي فتأوهت ... وكأنها بيد الأسى طنبور
وتذكرت أيام يرشف نورها ... ريق الضحى ويزرزر الزرزور
وعرائس النارنج تحلم في الندى ... فيرف فيها طيفه المسحور
وتذكرت عند (السياج) أزاهراً ... صفراء رفت في ظلال العوسج
« زهر القطيفة » كيف خان عهودها
نسي الهوى من عطرها المنباج
وتذكرت . في رعشة لما سبا ... زرزورها منها ولم يتحرج
وهنا نشبت في الشجيرة خلجة ... وبكت حنيناً للشذا المتأرج

وتذكرت شفقاً توهج حمرة ... خلل الغيوم على ربا الآصال
وبدت غصون الجزورين كأنها ... قلع ترفرف في بحار خيال !

وهنا تحركت الشجيرة في أسى ... وبكى الربيع خيالها المهجور
وتذكرت عهد الصبا فتنهدت ... وكأنها بيد الأسى طنبور

وتذكرت شجر النخيل وهدهداً ... قد كان يقصدها صباح مساء
وتذكرت في اليوسفي يمامة ... كانت تنوح الليلة القمراء

وضفت على كل الغصون سحابة ... وزكا الغصين وفتح النوار
وتهلل الزرزور في أوراقها ... وزها السياج وفاحت الأعطار

حلمت بأرض في الخيال سحيقة ... في ذلك الأفق القصي النائي
خلدت إلى صمت هناك مخيم ... تسجو عليه خوافق الأفياء
هي جنة الأشجار والأظلال وال ... أعطار والأنسام والأنداء

يتزاهر البشنين فوق شطوطها ... ويغازل الدفلى زهر اللوتس
وعرائس النارنج فاح عبيرها ... بالنخل تحلم في السكون المشمس
وهناك زرزور يغرد دائماً ... ويقص أحلام الزهور النعس
يروي لها أسطورة سحرية ... مما يفوح به خيال النرجس

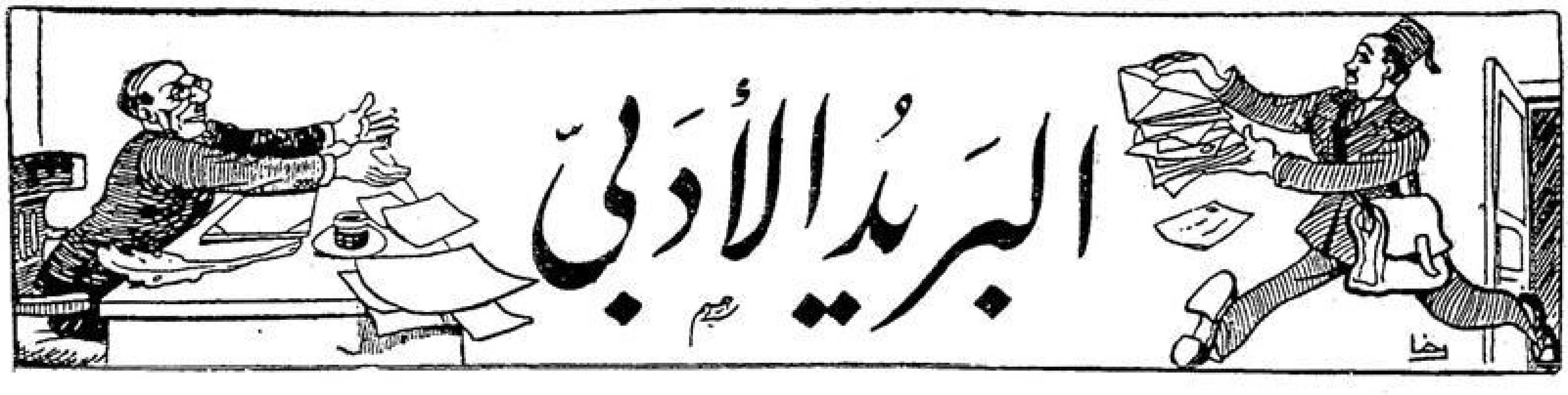
نارنجتي ! والله مذ فارقتني ... وأنا حليف كآبة خرساء
أصبحت بعدك في انقباض موحش
وكأنني منه مساء شتاء

تستشرف الأعطار في آفاقها ... روحي إليك وراء كل فضاء
وترف في دهليز كل أشعة ... قمراء أو ترنيمة بيضاء

قد كنت أرجو أن تكون نهايتي ... في ظل هذا السور حيث أراك
ويكون آخر ما يخدر مسمعي ... زرزورك المتاف فوق ذراك
ويطوف في غيبوبتي فيفيقني ... فجر قصير البعث من رياك
والآن إذ عجل القضاء فإنما ... سيقوم في الذكري خيال شذاك

وسرى إلى أرض الحديقة كلها ... نبأ الربيع وركبه المسحور
كانت لنا ... يا ليتها دامت لنا ... أو دام يهتف فوقها الزرزور

محمد الهمشري



كتاب جديد فى التصوف الاسلامى

محى الدين بن العربى من كبار متصوفة الاسلام وأقطاب فلاسفته الذين تركوا ذخيرة فكرية غير ضئيلة ، ولم يتعرض لدرسها غير نفر قليل من أعلام المستشرقين ، فقد تناولوا بعض نواحيها بما هى جديرة به من البحث والتنقيب . وتقوم اليوم جامعة كمبردج بطبع رسالة لأستاذ مصرى هو الدكتور أبو العلا عفيفى قدمها منذ بضع سنوات لنيل إجازة الدكتوراه منها وهى
Mystical Philosophy of Mohyi el Din Ibn El Arabi

وقد تناول المؤلف فى هذا البحث القيم عدة نواح جديدة فى فلسفة ابن العربى ، ودرسها دراسة عميقة ، محللاً ومفسراً وناقداً فقسمها إلى أربعة أقسام .

تناول فى القسم الأول «النظرية الوجودية» عند هذا الفيلسوف المسلم، وهى تتعلق بنظرته للوجود الالهي وبوجود العالم؛ ثم خصص القسم الثانى منها لنظريته « المعرفة » وبحث فيه عن أنواع المعارف الانسانية عامة والمعرفة الصوفية خاصة وكيف يتوصل إليها، والذين درسوا التصوف الاسلامى لابد قد أدركوا « غموض المعرفة » وما يحتاج إليه دارسها من صبر طويل فى تقصيها من نواحيها المختلفة .

وتناول الدكتور أبو العلا عفيفى فى القسم الثالث منها « علم النفس كما يفهمه ابن عربي» وهو باب جديد فى دراسة ابن العربى استطاع المؤلف فيه أن ينفذ إلى آفاق جديدة وأن يخرج منها بآراء مستجدة فى هذه الناحية المجهولة .

وتناول في القسم الرابع والأخير منها آراءه فى الأخلاق والجمال وفى مصير الانسان وفى معنى الجزاء بصورتيه (الثواب والعقاب) وفى الدار الآخرة . ولا مشاحة فى أن قيام جامعة كمبردج بطبع هذا السفر للمؤلف المصرى دليل على أهمية الكتاب من حيث التحليل والبحث لشخصية تعد فى طليعة الشخصيات التى تركت أثراً عظيما فى الفلسفة الاسلامية وفى التفكير الاسلامى ونحت به منحي خاصاً فيه كثير من العمق . (ع . ع)

النظام والخليل فى ضحى الاسلام

روى الأستاذ أحمد أمين فى كتابه ضحى الاسلام (٣ : ١٠٦) فى سياق ترجمته للنظام - عن صاحب كتاب سرح العيون - أن النظام دخل على الخليل بن أحمد وهو صغير ، ثم ساق محاورة جرت بينهما لايعنينا أمرها ، وإنما يعنينا أن هذه الرواية مدخولة ظاهرة الدخل من حيث إمكان التلاقي بين الخليل والنظام . فأما النظام فقد ذكر الأستاذ فى الصفحة نفسها أنه مات سنة ٢٢١ فى نحو السادسة والثلاثين من عمره . ومعنى هذا أنه ولد فى نحو سنة ١٨٥ وأما الخليل فقد ذكر الأستاذ أيضا فى ضحى الاسلام (٢ : ٨٤) أنه مات سنة ١٧٥ ، كما ذكر ابن النديم أنه مات سنة ١٧٠ ، يعنى أن بين موته وبين ميلاد النظام عشر سنوات على الأقل .

فرواية سرح العيون لم يكن من اللائق علميا أن يعتمد عليها وخصوصا إذا كانت هذه الرواية قد أوردها الجاحظ فى الحيوان (٣ : ١٤٦) بصورة أخرى لم يذكر فيها اسم الخليل .

لعل الذى حمل الأستاذ على الاحتفاء برواية سرح العيون ، وإغفال رواية الحيوان ، هو أن الأولى مفصلة والأخرى مجملة ، وليس هذا بمرجح فى التحقيق العلمى ، فلعل ذلك التفصيل هو من قبيل الحمل والتزيد . إن مما يحمل على العجب أن تفضل رواية ابن نباتة فى القرن الثامن عن النظام على رواية معاصره الجاحظ فما بال الأستاذ إذا كانت رواية ابن نباتة على ما رأينا من فساد ظاهر ؟

أبو عبادة

رابطة التربية الحديثة

تنوى رابطة التربية الحديثة أن تدعو الأستاذ ادولف فريير وهو من أعلام التربية الحديثة لالقاء بضع محاضرات عامة فى هذا الشتاء

وقد تلقت الرابطة من مركزها الرئيسى بلندن قائمة تنظيم الموضوعات التى تشغل بال رجال التربية فى الوقت الحاضر وهى :—
التنافس والتعاون . المقصود من الحرية فى التربية . النظام .

المسئولية والحكم الذاتى . المدرسة كمجتمع . الطرق الفردية فى الفصل . علم النفس الحديث والطفل . الدين والتعليم الدينى . تشغيل الأحداث وبطالتهم . آثام الأحداث . التعبير الذاتى الابتكارى . إعداد المعلم

وستعمل الرابطة على دراسة تلك الموضوعات دراسة علمية فنية. أما أعضاء الرابطة المصريون فقد قام لفيف منهم بدراسة بعض الموضوعات فى إجازة الصيف. ونذكر رؤوس تلك الموضوعات فيما يلى:

التربية الجنسية . مشروع لمدارس الحضانة . تقريرا مان وكلاباريد وما استفادته مصر وما يمكن أن تستفيده منهما . البحث العلمى فى التربية . سجل التلميذ . التفرقة أو التوحيد بين الولد والبنت فى التعليم . مشكلة تعليم اللغات الأجنبية فى مصر . وسائل النهوض بالحياة الريفية . اتجاه جديد فى دراسة الأدب العربى . حاجة مصر للتوجيه المهنى . هل يقوم التعليم الصناعى على أسس صحيحة . التوفيق بين طريقة المشروع والبرامج الحالية فى مصر والخارج . سياسة التعليم بمصر . الروح المدرسية

دار العلوم وكلية اللغة العربية

كتبت فى الرسالة (العدد ٢٨٣) كلمة عرضت فيها بعض الحجج التى تدفع محاولة الأزهر منافسة دار العلوم فى تدريس اللغة العربية بالمدارس ، وتبين تفرد دار العلوم من حيث ثقافتها الشاملة ومن حيث أنها البيئة التى تمد فيها وزارة المعارف المعلم على الغرار الذى تتطلبه لمدارسها . فتعرض (أزهرى) فى العدد (٢٨٤) لما سقته فى الكلمة السابقة وناقش المسائل الآتية :

قلت : ليس من المساواة الحقيقية أن يعين الأزهريون فى وظائف التدريس بالمدارس دون أن يعين أبناء دار العلوم فى وظائف التدريس بالأزهر . فرد (أزهرى) على هذا بأن فى المعاهد الأزهرية مدرسين من أبناء الدار كثيرين . فهو يحتج بوجود كبار الأساتذة من أبناء دار العلوم الذين انتدبهم الأزهر أو عينهم حين بدىء فى إدخال عناصر ثقافية جديدة فيه . وأنا لم أقصد هؤلاء لأن الأزهر استدعاهم لحاجته الطارئة ، وإنما أعنى الذين يتخرجون فى دار العلوم فى الحال : هل يأخذ الأزهر منهم للتدريس فى معاهده كما يأخذ من المتخرجين فى كلياته ؟ أم هل يجرى بين هؤلاء وهؤلاء مسابقة لذلك ، كما يريد الأزهريون أن يشغلوا وزارة المعارف بإجراء مسابقة — لا مقتضى لها — بينهم وبين أبناء دار العلوم للتدريس فى المدارس ؟

وقلت إن دار العلوم فى عهدها الجديد تنفرد من بين جميع معاهد التعليم بالجمع بين الدراسة العربية المستفيضة ودراسة اللغات الأجنبية والسامية وآدابها . فقال (أزهرى) أن المعهد الجديد يعيل بدار العلوم إلى التعاليم الغربية الجامحة التى تباعد بين القديم الخالد وبين ناشئة الأمة . وهذه فلتة من فلتات ما وراء الشعور، فالأزهر يحرص فى هذه الأيام على الدعوى بأنه يعمل على مسايرة روح العصر . وليعلم (أزهرى) أن النهضة الفكرية والأدبية خاصة قامت على الجمع بين الثقافتين العربية والغربية وإنكار ذلك من قبيل إنكار البدهيات ؛ وهذا ما عنيت بالتبرئة من الجمود، أبرأ الله (أزهرينا) منه .

وقال (أزهرى) : لو راجع الكاتب ذاكرته لذكر أن الاتفاق على حلول كلية اللغة العربية محل دار العلوم ، حديث مفروغ منه . فمتى كان هذا الاتفاق ؟ ولم ؟ وفى أى ذاكرة يوجد غير ذاكرة الأحلام ؟ ! والغريب أن يتمثل بعد ذلك بالبيت الذى أصلحت (الرسالة) روايته :

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

وهو يريد تنفيذ ذلك الاتفاق الموهوم بإلغاء دار العلوم ، فكيف يريد حياتها ؟ !

وبعد فإن إخواننا الأزهريين فى مطلبهم ذلك إما أنهم يريدون أن ينفعوا بعلمهم ، وإما أنهم طلاب وظائف فحسب . أما الأولى فإن أبناء دار العلوم يقومون بالمهمة خير قيام ، ولا نحسب خريجى كلية اللغة العربية أكثر كفاية من الذين ينتدب الأساتذة من بينهم لتعليمهم ، فيبقى الأمر الثانى وهو أنهم يطلبون الوظائف فحسب ، وهـذا مالا حق لهم فيه ، فإن فى ميدان الوظائف الأزهرية ما يكفيهم عن تزرىء أبناء دار العلوم فيما يضيق بهم ، وما خلقوا من أجله .

(ع . ح . خ)

وفاة شاعر شاب

فجع الشباب والأدب فى ليلة الأربعاء الماضى بوفاة الشاعر الوجدانى الرقيق محمد المشرى محرر مجلة التعاون بوزارة الزراعة، فكان لنعيه الفاجىء وجوم شديد فى أندية الأدب والصحافة ، لأنه كان أملا من آمال الشعر الحديث، ومثلا من الأمثال الطيبة للخلق وللصداقة . وقد نشر الفقيد ملحمة بعنوان « شاطىء الاعراف» واشتهر بقصيدته (جيث الفاتنة) وكان بصدد أن يجمع من شعره ما نشر وما لم ينشر فى ديوان . رحمه الله رحمة واسعة وألهم أهله وصحبه جميل الصبر .

رواية جان دارك

الموضوع : جان دارك ، والمؤلف : برنارد شو ، والمترجم : الدكتور أحمد زكي بك ناقل ذات الكمليا وقصة الميكروب ! فالقارىء لا يدرى من أية جهة يأخذه البيان والفن والسمو ! أخرجتها لجنة التأليف والترجمة والنشر فيما أخرجت من عيون الأدب الغربي فكانت واسطة القلادة . نبادر اليوم باعلان ظهورها إلى قراء الرسالة ، وسنعود إلى الحديث عنها في العدد القادم

رواية بيت

حضرة الأستاذ الأديب الكبير صاحب الرسالة الكريمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عذيرك من خليلك من مراد أريد حياته ، ويريد قتلي

أوردت البيت على هذه الصورة في كلمتي التي تفضلت الرسالة بنشرها في العدد (٢٨٤) دار العلوم والأزهر — فعلقتم عليه بما نصه : الرسالة : « روي الأستاذ الكاتب هذا البيت على هذا النحو ، وهو لدريد بن الصمة ، وصوابه :

أريد حياته ، ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وفي الأغاني ج ١٤ ص ٣٢ طبعة الساسي المغربي ، في أخبار عمرو بن معد يكرب ما نصه : « وكان عمرو غزا هو وأبي المرادي ، فأصابوا غنائم ، فادعى أبي أنه قد كان مسانداً ، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً ، وكره أبي أن يكون بينهما شر ... فأمسك عنه . وبلغ عمرا أنه توعده ، فقال عمرو في ذلك قصيدة له ، أولها :

أعاذل ، شكتي بدني ورمحي وكل مقلص سلس القياد

إلى أن قال فيها :

ولو لاقيتني ومعي سلاحي تكشف شحم قلبك عن سواد

أريد حِباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وفي أخبار دريد بن الصمة ج ٩ ص ١٢ من الكتاب نفسه ما نصه :

عن أبي عبيدة قال : قالت امرأة دريد له : قد أسننت ، وضعف جسمك ، وقتل أهلك ، وفني شبابك ، ولا مال لك ولا عدة ، فعلى أي شيء تعول إن طال بك العمر ؟ أو على أي شيء تخلف أهلك إن قتلت ؟ فقال دريد :

أعاذل ، إنما أفني شبابي ركوبي في الصريخ إلى المنادي

وبعد أن روى أبياتاً من هذه القصيدة قال :

هذا الشعر رواه أبو عبيدة لدريد ، وغيره يرويه لعمرو بن معد يكرب ، وقول أبي عبيدة أصح . إلى أن قال : « وخلط المغنون بهذا الشعر قول عمرو بن معد يكرب في هذين اللحنين :

أريد حِباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

ولو لاقيتني ، ومعي سلاحي تكشف لحم قلبك عن سواد اه

ومثل ذلك في معاهد التنصيص ص ٢٢٥ ج ١ ، الطبعة البهية المصرية

فالبيت على رواية سيدي الأستاذ — مع استبدال حباءه بحياته — لعمرو بن معد يكرب ، لا لدريد بن الصمة ، كما قال حضرته ، وقد كنت أجزم بذلك من قبل ، بيد أن شاعراً (أنسيته) أورده على سبيل التضمين ، مقلوباً في قصيدة لامية ، فكانت صورته في نفسي أنسب بمضمون كلمتي ، ولذلك لم أنسبه والأمر سهل ، والعصمة لله وحده

أزهري

(الرسالة) أجل هو لعمرو بن معد يكرب ، وقد نسبناه إليه في كتابنا تاريخ الأدب العربي صفحة ٢٢

مكتب البعث العربي

إن البسالة العربية التي أعرب عنها المجاهدون العرب في فلسطين، في مواقفهم الدامية وجهادهم الدائب لهي من الأمور التاريخية التي ترفع جبين القومية العربية عالياً وتوقظ في الشعب أحلام الوطنية الصحيحة والتفاني المجيد . ولا شك أن ثورة فلسطين التي هي ثورة الحق على الباطل، وثورة العدل على الظلم، هيأت الأسباب التحريرية الباعثة على النهوض في قابلية العرب الطبيعية الذين منهم الأفراد المهاجرة في الأمريكتين الجنوبية والشمالية ، وأفريقيا الفرنسية والانكليزية وسائر المقاطعات الأخرى ، هؤلاء الأفراد الذين نزحوا بأجسامهم إلى ما وراء المحيطات المائجة الصاخبة ، وتركوا قلوبهم ثائرة في أقاليمهم وطافحة بذكر الله وذكر الوطن ؟!

ولذلك فان مكتب البعث العربي — تقديراً لهذا الجهاد المشترك — يضع أمام شعراء العرب هدية نفيسة تقدر قيمتها بخمسين دولاراً أميركياً لأحسن نشيد ينظم للمجاهدين والمهاجرين.

وتفسير ذلك أن توضع قطعة نشيد للمجاهد وأخرى للمهاجر يدور محورها على استعراض ما يقوم به هؤلاء من تضحيات هائلة لم يشهدها التاريخ ، على أن ترسل جميع الأناشيد بالعنوان المرقوم أسفل حيث تنظر اللجنة فيها وتقوم باعلان النتيجة في العاشر من شهر إيار — شهر الزهر سنة ١٩٣٩

عبد الله بري

مدير مكتب الشعب العربي العام

A. Berry
1732 Salina St. Dearborn
Mich. U. S. A.



الفرقة القومية

مديرها وسكرتيرها الفنى

رواية شمشون لا رواية طبيب المعجزات

نرى المقبل على دار الأوبرا رقعة عريضة طويلة مكتوباً عليها بخط يقرؤه الأعشى عن بُعد أمتار «طبيب المعجزات» ويقرأ الناس فى الاعلانات الملصقة على جدران الأوبرا وفى الشوارع وعلى مدخل غرفة بيع التذاكر مايفيد أن هذه الرواية تمثل ابتداء من ٩ لغاية ١٣ من الشهر الحالى

أخذت تذكرتى على هذا الاعتبار وجلست فى مكانى أنتظر مشاهدة تمثيل رواية طبيب المعجزات — درة الموسم — جائزة الجائزة في المباراة

رفع الستار وإذا بالممثلين يمثلون رواية «شمشون» . دهشت لهذه الصدمة الباردة ، ثم عدت فافترضت أيسر الفروض المبررة لهذه الفعلة وأبعدها عن التعسف ، افترضت مرض ممثلين هما بطلا الرواية وقلت : هل يعيق الفرقة مرض ممثلين اثنين عن تمثيل رواية ملأت الاعلانات عنها الشوارع والمنازل ومركبات الترام وصحف القاهرة؟ وسألت : أين الممثلون الاحتياطيون للطوارئ؟

قيل لى إن علاماً الممثل مريض فعلاً، فقلت: أما كان الأخلق بمدير الفرقة الفنى أن يمثل رواية من روايات الموسم، أى يقدم رواية متأخرة بدلاً من تمثيل هذه الرواية التى جمع مؤلفها الفاضل جميع ألفاظ السباب والشتم المعروفة لغة وعرفاً وحشرها فى هذه الرواية الفاضلة ؟ يقول شمشون لخليلته دليلة : « إنى أفرغ فيك شهوتى كأنى أفرغها فى جميع بنات قومك » ، ويقول مصرابيم لكهنة اليهود: « تتوهم دليلة أنى خصى فى حين أنى .. أموت وجداً بها » ولقد سمعنا مئات من كلمات الفحش والفاسقة والومس ، والوحش والشهوانى وما إليها من ألفاظ تتناثر من أحاديث شمشون ودليلة . ولعل أغرب من كل ما حوته هذه الرواية الفاضلة من تعابير لا أسمح لقلمى بتدوينها هى أن يجر شمشون خليلته دليلة إلى خبائها فنسمع من وراء الستار زمجرة الشهوة شهوة شمشون، وأنين اللذة أو الألم لدى دليلة، ثم تخرج هى شعثاء الشعر وهو محلول الازار . وهنا يصح أن نسأل حضرات الشيوخ الأفاضل أعضاء لجنة القراءة هل نظروا « النواحى الفنية والخلقية والاجتماعية واللغوية » فى هذه الرواية الفاضلة ؟

أرى الحديث يجذبنى للسؤال (عن المدير الفنى) وذلك بمناسبة الحديث الممتع الذى أفضى به حضرة مدير الفرقة إلى محرر مجلة الصباح بمناسبة استقالة سكرتير الفرقة والاستعاضة عنه بالقائم بأعماله الآن ما نصه : « كان ودى أن تتحقق أمنيتى ، أن أخلق من الفرقة ومن بين أفرادها مديراً فنياً يتولى جميع أعمالها الفنية ويدير شؤونها من هذه الناحية وتكون له السلطة النافذة .. إلى آخره » فهل تحققت أمنيته ياترى فى إيجاد « السكرتير » الحالى القائم فعلا بالادارة الفنية وغير الفنية، فارتأى هذا بثاقب فنه إرجاء تمثيل رواية طبيب المعجزات لأن بطلها الممثل علام مريض والاستعاضة عنها بتمثيل رواية « شمشون » ثم روايتى فتياتنا سنة ١٩٣٧ ومجنون ليلى وبطلهما الممثل علام المريض ! أم أن هناك

باعثاً فنياً قاهراً أوجب تأجيل عرض رواية طبيب المعجزات استيفاء لأغراض فنيــة ، أو أن هنالك أسباباً غير ما ذكرنا يجهلها مدير الفرقة غير الفني ويتحدث بها الأدباء والممثلون في مجالسهم ؟

السكرتير الحالي رجل فاضل يضرع رواية شمشون بالفن والفضل ، ودليل ذلك أنه كان قبل أن يرقى إلى (مقامه) الحالي ، يشرف على نشر الاعــلانات وإلصاقها في الشوارع ، وهو هو صاحب الاعلان المشهور عن رواية « الفاكهة المحرمة » فقد طبعه وحده — على ما نقل إلي — ووزعه وألصقه على الجدران ولم ينتبه للغلطة العربية الفاضحة « تأليف الأستاذان » إلا بعــد أن ضج الناس وهرعوا إلى التلفون ينبهون مدير الفرقة إلى هذه الغلطة الشائنة

ما كنت أقصد ذكر هذه الحادثة الفردية التي تدل على مدى فضل « السكرتير الفني » الذي اصطفاه مدير الفرقة لولا اتصالها بلب موضوعي وهو الفوضى المطلقة في الجهل المطلق للفن المسرحي

عرف مدير الفرقة غلطة من اختاره ليكون خير خلف لخير سلف فهل غضب لها ؟

كلا لم يغضب ، بل أمر — أدام الله دولته — بطبع الاعلان صحيحاً من الغلط وأن يلصق فوق الاعلان الأول ليستر فضيحة الجهل بأبسط قواعد اللغة

ولم الغضب ، وأجرة استعادة طبع الاعلان وتوزيعه وإلصاقه لا تقلل كثيراً ولا قليلا من مبلغ الخمسة عشر ألفا من الجنيهات المنتزعة من الأمة ، المرصــدة على « تكية » التمثيــل وإعاشة المرتزقة . إن أجرة الاعلان المغلوط لا تساوي عشر ثمن رواية واحدة من الروايات التي فرضتها لجنة القراءة على مدير الفرقة كما يقول هو ، أو التي قبلها هو ودفع ثمنها ليدفنها في أدراج مكتبه

أعرف عشرات من هذه الروايات المدفونة ، أذكر منها الأجنبية لمعربها جورج سمان ، والصدر الأعظم لمصنفها شوكت التوني المحامي ، ووحيد لمؤلفها حسين عفيف المحامي وغيرها لمحمود كامل المحامي صاحب مجلة الجامعة وسواه من أنداده . فما قيمة أجرة إعلان ضاعت سدى إزاء أثمان هذه الروايات التي لا تقل أدناها عن خمسين جنيهاً ؟ !

لست أحاول النيل من أدب الأدباء الذين أهملت رواياتهم ولا القول البات بأن مدير الفرقة دفن هذه الروايات دفناً أبدياً ، بل أشعر بالواجب الأدبي يدعوني إلى السؤال عن معنى الرجوع إلى الروايات القديمة وعنــد مدير الفرقة عشرات من الروايات التي لم تمثل بعد . فهل في ذلك سر غير سر الوحي الذي يطيب للمدير أن يتلقاه من موح جديد يرتاح إليه كما يرتاح الشعراء إلى وحي شياطينهم ؟

هل لاحظت لجنة التحقيق بوزارة المعارف هذا الضرب من الاسراف والتبذير ، أو الاعانة الفردية على حساب الأمة ؟ هل فكرت في حصر المبالغ التي دفعتها الفرقة ثمنا للروايات فعرفت ما مثل وما دفن منها ؟

ابن عساكر